كثير عزة

هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزامي، أبو صخر. 665 – 72 م

كثير عزة

665 – 72 م

هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزامي، أبو صخر. أمه جمعة بنت الأشيم، لذلك كان يقال أيضاً كثير بن أبي جمعة.

عرف عن كثير عزة ولاؤه لآل البيت، ومع ذلك فقد نال حظوة عند بني أمية، فمدح عبد الملك بن مروان وأخاه عبد العزيز والي مصر. ومع أن عمر بن عبد العزيز لم يكن يجيز الشعراء، فقد أجاز كثيراً بثلاثمائة درهم.

عشق كثير عزة بنت جُميل بن وقاص من بني حاجب من بني صخر، وقد زعم قوم أنه لم يكن مخلصاً في حبها وأنه أحب بعدها فتاة اسمها أم الحويرث.

كثير عزة شاعر رقيق بدوي الأسلوب يجيبد الغزل والوصف والمديح.

ورد في كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني قوله: هو فيما أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد بن سعيد بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو وهو خزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مزيقيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن " بن الأزد وهو درء وقيل دراء ممدوداً بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزعراء الخزاعي عن أمه ليلى بنت كثير قالت: هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مخلد بن سبيع بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وأمه جمعة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رياح بن سيالة بن عامر بن جعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشيم جده أبي أمه أبا جمعة، ولذلك قيل له ابن أبي جمعة.

وكان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له.

ومات كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك. وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى. ولليلى بنته ابن يكنى أبا سلمة الشاعر وهو الذي يقول: صوت

وكان عزيزاً أن تبيتي وبيننا	حجابٌ فقد أمسيت مني على شهر
ففي القرب تعذيبٌ وفي النأي حسرة	فيا ويح نفسي كيف أصنع بالدهر

في هذين البيتين غناء لمقاسة. ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حبس.

كنيته وطبقته في الشعراء ونحلته: ويكنى كثير أبا صخر. وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي. وكان غالياً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ، ويقول بالرجعة والتناسخ، وكان محمقاً مشهوراً بذلك. وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم وعندهم. وكان من أتيه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد.

الحديث عنه وعلى شعره: أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال حدثني سليمان بن فليح قال: سمعت محمد بن عبد العزيزيعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف يقول ما قصد القصيد ولا نعت الملوك مثل كثير.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكثير ثلاثين قصيدة لو رقي بها مجنون لأفاق.

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال: كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه، ويحدثنا.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره. قال الزبير قال المؤملي: وكان ابن أبي عبيدة يملي شعر كثير بثلاثين ديناراً. قال وسئل عمي مصعب: من أشعر الناس؟ فقال: كثير بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم يعني الشعراء، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثير.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازةً قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: كان كثير شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوص حظه بالعراق.

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال سمعت يونس النحوي يقول: كثير أشعر أهل الإسلام. قال ابن سلام: وسمعت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جداً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خطلٌ وعجب.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال: سمعت المسور بن عبد الملك يقول: ما ضر من يروي شعر كثير وجميلٍ إلا تكون عنده مغنيتان مطربتان.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال: رأيت كثيراً يطوف في البيت، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه؛ وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طأطئ رأسك لا يصيبه السقف.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جده عن جد أبيه عبد العزيز وأمه جمعة بنت كثير قال: قال جرير لكثير: أي رجل أنت لولا دمامتك! فقال كثير:

إن أك قصداً في الرجال فإنني ... إذا حل أمرٌ ساحتي لطويل

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال، وأخبرنا الحرمي أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الديليين قال: التقى كثير والحزين الديلي في المدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم، فضمهما المجلس. فقال كثير للحزين: ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما توصل الشيء إلى الشيء. فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوك؟قال نعم. وكان كثير قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصلت بن النضر بن كنانة:

أليس أبي بالنضر أو ليس إخوتي ... بكل هجانٍ من بني الصلت أزهرا
فإن لم يكونوا من بني الصلت فاتركوا ... أراكاً بأذيال الخمائل أخضرا

قال: فلما أذن كثير للحزين أن يهجوه قال للحزين:

لقد علقت زب الذباب كثيراً ... أساود لا يطنينه وأراقم
قصير القميص فاحشٌ عند بيته ... يعض القراد باسته وهو قائم
وما أنتم منا ولكنكم لنا ... عبيد العصا ما ابتل في البحر عائم
وقد علم الأقوام أن بني استها ... خزاعة أذنابٌ وأنا القوادم
ووالله لولا الله ثم ضرابنا ... بأسيافنا دارت عليها المقاسم
ولولا بنو بكر لذلت وأهلكت ... بطعنٍ وأفنتها السيوف الصوارم

تهدده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسدي قال: فقام كثير فحمل عليه فلكزه. وكان الحزين طويلاً أيداً. فقال له الحزين. أنت عن هذا أعجز، واحتمله فكان في يده مثل الكرة، فضرب به الأرض، فخلصه منه الأزهريون. فبلغ ذلك " أبا الطفيل عامر بن واثلة وهو بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينيه من الكثير ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح. وكان خندفٌ الأسدي صديقاً لأبي الطفيل، فطلب إلى أبي الطفيل في كثير واستوهبه إياه فوهبه له. والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن علي بن أبي طالب، فقال: أما الله لولا ما أعطيت خندفاً من العهد لوفيت لك. فذلك قول كثير في قصيدته التي يرثي فيها خندفاً:

ينال رجالاً نفعه وهو منهم بعيدٌ كعيوق الثريا المحلق

أنكر على الأحوص ضراعته في الاستجداء أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وجبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قال كثير: في أي شعر أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان لي طارفاً من تجارةٍ وما كان ميراثاً من المال متلدا
ولكن عطايا من إمامٍ مباركٍ ملا الأرض معروفاً وجوداً وسوددا

فقال كثير: إنه لضرع قبحه الله ! ألا قال كما قلت: صوت

دع عنك سلمى إذ فات مطلبها واذكر خليليك من بني الحكم
ما أعطياني ولا سألتهما إلا وإني لحاجزي كرمي
إني متى لا يكن نوالهما عندي مما قد فعلت أحتشم
مبدي الرضا عنهما ومنصرفٌ عن بعض ما لو فعلتُ لم ألم
لا أنزر النائل الخليل إذا ما اعتل نزر الظؤور لم ترم

عروضه من المنسرح. غنى في هذا الشعر يونس ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنى فيه الغريض ثاني ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. و فيه لحن من الثقيل الأول ينسب إلى معبد، وليس بصحيح له. قال الزبير بن بكار في تفسير قوله: لا أنزر النائل الخليل يقول: لا ألح عليه بالمسألة، يقال: نزرته أنزره إذا ألححت عليه. والظؤور: المتعطفة على غير أولادها.

حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضاً له: أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا المؤملي عن أبي عبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال: ياأمير المؤمنين، إن أرضاً لك يقال لها غرب ربما أتيتها وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رطبها وتمرها بشراءٍ، مرة وطعمة مرة. فإن رأى أمير المؤمنين أن يعمرنيها فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فندمه الناس وقالوا له: أنت شاعر الخليفة ولك عنده منزلة، فهلا سألت الأرض قطيعةً !. فأتى الوليد فقال: إن لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجلسني قريباً من البرذون. فلما استوى عليه عبد الملك قال له: إيهٍ ! وعلم أن له إليه حاجةً. فقال كثير:

جزتك الجوازي عن صديقك نضرةً وأدناك ربي في الرفيق المقرب
فإنك لا يعطى عليك ظلامةٌ عدوٌ ولا تنأى عن المتقرب
وإنك ما تمنع فإنك مانعٌ بحقٍ، وما أعطيت لم تتعقب

فقال له: أترغب غرباً؟ قال: نعم ياأمير المؤمنين. قال: اكتبوها له، ففعلوا.

هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق: أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: كان الحزين الكناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر، منهم ابن أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له

أعجف قال: وكثير مع ابن أبي عتيق فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عتيق: من هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة قال: وكان قصيراً دميماً فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا ! لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لا بد من هجائه ببيت. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين. فقال له كثير: إيذن له، ما عسى أن يكون في بيت ! فأذن له ابن أبي عتيق. فقال:

قصير القميص فاحشٌ عند بيته يعض القراد باسته وهو قائم

قال: فوثب كثير إليه فلكزه، فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما، وقال لكثير قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ! فقال كثير: أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا كله في بيت واحد ! ادعى أنه قرشي فرده الشعراء وسبه الكوفيون: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن الخضر الخزاعي عن ولد جمعة بنت كثير أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثير: أن عبد الملك بن مروان قال له: ويحك ! إلحق بقومك من خزاعة، فأخبر أنه من كنانة قريش، وأنشد كثير قوله:

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي بكل هجانٍ من بني النضر أزهرا
فإن لم تكونوا من بني النضرفاتركوا أراكاً بأذناب القوابل أخضرا
أبيت التي قد سمتني ونكرتها ولو سمتها قبلي قبيصة أنكرا
لبسنا ثياب العصب فاختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المخصرا

فقال له عبد الملك: لا بد أن تنشد هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة، وحمله وكتب به إلى العراق في أمره. قال عمر بن شبة في خبره خاصة: فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك. وقال فيه الأحوص ويقال: بل قاله سراقة البارقي:

لعمري لقد جاء العراق كثيرٌ بأحدوثةٍ من وحيه المتكذب
أيزعم أني من كنانة أولى وما لي من أمٍ هناك ولا أب
فإن كنت حراً أو تخاف معرةً فخذ ما أخذت من أميرك واذهب

فقال كثير يجيبه وفي خبر الزبير: قال هذا لأبي علقمة الخزاعي:

أيا خبثٌ أكرم كنانة إنهم مواليك إن أمرٌ سما بك معلق

وفي رواية الزبير: أبا علقمٍ.

بنو النضر ترمي من ورائك بالحصى أولو حسبٍ فيهم وفاءٌ ومصدقٌ
يفيدونك المال الكثير ولم تجد لملكهم شبهاً لو انك تصدق
إذا ركبوا ثارت عليك عجاجةٌ وفي الأرض من وقع الأسنةٌ أولق

فأجابه الأحوص بقوله:

دع القوم ما حلوا ببطن قراضمٍ وحيث تفشى بيضه المتفلق
فإنك لو قاربت أو قلت شبهةً لذي الحق فيها والمخاصم معلق
عذرناك أو قلنا صدقت وإنما يصدق بالأقوال من كان يصدق

ستأبى بنو عمرٍو عليك وينتمي لهم حسبٌ في جذم غسان معرق
فإنك لا عمراً أباك حفظته ولا النضر إن ضيعت شيخك تلحق
ولم تدرك القوم الذين طلبتهم فكنت كما كان السقاء المعلق
بجذمة ساقٍ ليس منه لحاؤها ولم يك عنها قلبه يتعلق
فأصبحت كالمهريق فضلة مائه لبادي سرابٍ بالملا يترقرق

قال: فخرج كثير فأتى الكوفة، فرمي به إلى مسجد بارق. فقالوا له: أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا: فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زناً يدعى كثيراً. قال سبحان الله ! أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان ! قالوا: هو ما قاله لنفسه. فانسل منهم وجاء إلى والي الكوفة حسان بن كيسان، فطيره على البريد. فقال عمر بن شبة في خبره: إن سراقة البارقي هو المخاطب له بهذه الشتيمة وإنه عرفه وقال له: إن قلت هذا على المنبر قتلتك قحطان وأنا أولهم، فانصرف إلى منزله ولم يعد إلى عبد الملك.

نبذة عن سراقة البارقي وقصته مع المختار حين أسر: وكان سراقة هذا شاعراً ظريفاً. فأخبرني عمي قال حدثني الكراني عن النضر بن عمر عن الهيثم بن عدي عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان سراقة البارقي من ظرفاء أهل العراق، فأسره المختار يوم جبانة السبيع، وكان للمختار فيها وقعةٌ منكرة، فجاء به الذي أسره إلى المختار فقال له: إني أسرت هذا. فقال له سراقة: كذب ! ما هو الذي أسرني، إنما أسرني غلامٌ أسود على برذون أبلق عليه ثيابٌ خضرٌ، ما أراه في عسكرك الآن، وسلمني إليه. فقال المختار: أما إن الرجل قد عاين الملائكة ! خلوا سبيله فخلوه، فهرب فأنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيت البلق دهماً مصمتات
أري عيني ما لم تبصراه كلانا عالمٌ بالترهات
كفرت بدينكم وجعلت نذراً علي قتالكم حتى الممات

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت وكان ذلك رأي السيد: أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبيرقال أخبرنا عمرو ومحمد بن الضحاك قالا: كان كثير يتشيع تشيعاً قبيحاً، يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت. قال: وكان ذلك رأي السيد، وقد قال فيه يعني السيد شعراً كثيراً، منه:

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشرٍ والوك منا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم ستين عاماً
وما ذاق ابن خولة طعم موتٍ ولا وارت له أرضٌ عظاما
لقد اوفى بمورق شعب رضوى تراجعه الملائكة الكلاما
وإن له به لمقيل صدقٍ وأنديةً تحدثه كراما
هدانا الله إذ جرتم لأمرٍ به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة المهدي حتى تروا راياتنا تترى نظاما

وقال كثير في ذلك:

ألا إن الأئمة من قريشٍ ولاة الحق أربعة سواء
عليٌ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبطٌ سبط إيمان وبرٍ وسبطٌ غيبته كربلاء
وسبطٌ لا تراه العين حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى عنه زماناً برضوى عنده عسلٌ وماء

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: كان عبد الله بن الزبير قد أغري ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويغري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم. فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفية في سجن عارمٍ ، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في محبس وملأه حطباً وأضرم فيه النار. وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به. وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم، وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير منذ يومئذٍ. فأنشدها محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثير يذكر ابن الحنفية وقد حبسه ابن الزبير في سجن يقال له سجن عارم:

من ير هذا الشيخ بالخيف من منىً ... من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي النبي المصطفى وابن عمه ... وفكاك أغلالٍ ونفاع غارم
أبي فهو لا يشري هدىً بضلالةٍ ... ولا يتقي في الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه ... حلولاً بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمن الروع ساكنٌ ... وحيث العدو كالصديق المسالم
فما فرح الدنيا ببـاقٍ لأهله ... ولا شدة البلوى بضربة لازم
تخبر من لاقيت أنك عائدٌ ... بل العائذ المظلوم في سجن عارم

أنشد علي بن عبد الله شعراً له في ابن الحنفية وحديثه معه: حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن سعيد عن عقبة الجهني عن أبيه قال: سمعت كثيراً ينشد علي بن عبد الله بن جعفر قوله في محمد بن الحنفية:

أقر الله عيني إذ دعاني ... أمين الله يلطف في السؤال
وأثنى في هواي علي خيراً ... وساءل عن بني وكيف حالي
وكيف ذكرت حال أبي خبيبٍ ... وزلة فعله عند السؤال
هو المهدي خبرناه كعبٌ ... أخو الأحبار في الحقب الخوالي

فقال له علي بن عبد الله: ياأبا صخر، ما يثني عليك في هواك خيراً إلا من كان على مثل مذهبك. قال: أجل بأبي أنت وأمي !. قال: وكان كثير كيسانياً يرى الرجعة. قال الزبير: أبو خبيب عبد الله بن الزبير، كناه بابنه خبيب وهو أكبر ولده، وكان كثير سيئ الرأي فيه. قال الزبير: فأخبرني عمي قال: لما قال كثير:

هو المهدي خبرناه كعبٌ ... أخو الأحبار في الحقب الخوالي

فقيل له: ألقيت كعباً؟ قال: لا. قيل: فلم قلت خبرناه كعب؟ قال: بالتوهم.

غلوه في التشيع والقول بالرجعة وأخبار له في ذلك: قال: وكان كثير شيعياً غالياً يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتج بقول الله تعالى: " في أي صورةٍ ما شاء ركبك " ويقول: ألا ترى أنه حوله من صورة في صورة !.

قال: فحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: خندفٌ الأسدي الذي أدخل كثيراً في الخشبية.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد ابن معن الغفاري قال: كنا بالسيالة في مشيخةٍ نتحدث، إذا بكثير قد طلع علينا متكئاً على عصاه.

فقال: كنا ببيداء فأشرف السيالة وبهذه الناحية، فما بقي موضع ببيداء إلا وقد جئته، فإذا هو على حاله ما تغير وما تغيرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نرجع إليه. وكان يؤمن بالرجعة.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد قال: دخل عبد الله بن حسن على كثير يعوده في مرضه الذي بات فيه. فقال له كثير: أبشر ! فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق. فقال له عبد الله بن حسن: مالك عليك لعنة الله ! فوالله لئن مت لا أشهدك ولا أعودك ولا أكلمك أبداً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسبه عن أبن الماجشون قال: وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي قد وضع الأرصاد على كثير فلا يزال يؤتى بالخبر من حبره، فيقول له إذا لقيه: كنت في كذا وكنت في كذا، إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلامٌ فأتي به أبو هاشم. فأقبل به على أدراجه ، فقال له أبو هاشم: كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا. فقال له كثير: أشهد أنك رسول الله.

كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار: أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد، وأخبرنا ! الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسب قال: نظر كثير إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال: بأبي أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار. وكان يرى الرجعة. وروى علي بن بشر بن سعيد الرازي عن محمد بن حميد عن أبي زهير عبد الرحمن بن مغراء الدوسي عن محمد بن عمارة قال: مر كثير بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب، فأكب عليه يقبله وقال: أنت من الأنبياء الصغار ورب الكعبة !.

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قعنب بن المحرز قال حدثني إبراهيم بن داجة قال: كان كثير شيعياً، وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم ويقول: وا بأبي الأنبياء الصغار ! وكان يؤمن بالرجعة. فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأمهم ،: يا عم هب لي، فيقول: لا ! لست من الشجرة.

كان عمرو بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بن هاشم و فسادهم: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبيد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم بحب كثير: من أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح، لأنه كان خشبياً يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إن مما أعتبر به صلاح بني هاشم وفسادهم حب كثير، ثم ذكر مثله.

قال لعمته إنه يونس بن متى: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن دأب قال: كان كثير يدخل على عمه له برزة فتكرمه وتطرح له وسادةً يجلس عليها. قال لها يوماً: لا والله ما تعرفينني ولا تكرمينني حق كرامتي ! قالت: بلى والله إني لأعرفك. فقال: فمن أنا؟ قالت: ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأمه. فقال: قد عرفت أنك لا تعرفينني. قالت: فمن أنت؟ قال: أنا يونس بن متى.

كان عاقاً لأبيه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبي قال: كان كثير عاقاً لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحةٌ في إصبع من أصابع يده. فقال له كثير: أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة.

ضافه مزني وذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مزينة قال: ضفت كثيراً ليلة وبت عنده ثم تحدثنا ونمنا. فلما طلع الفجر تضور ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير راقد في لحافه. فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال: يا جارية اسجري لي ماء. قال قلت: تباً لك سائر اليوم ! أو هذه الساعة هذا! وركبت راحلتي وتركته. قال الزبير: أسخني لي ماء.

كان يهزأ به ويصدق ما يسمع عن نفسه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران المحمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبيد الله قال: ما رأيت قط أحمق من كثير. دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتهزأ به، وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً. فقلت له: كيف تجدك يا أبا صخر؟ وهو مريض، فقال: أجدني ذاهباً. فقلت: كلا ! فقال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ فقلت: نعم ! يتحدثون أنك الدجال. قال: أما لئن قلت ذاك إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام.

كان تياهاً ويستحمقه فتيان المدينة لذلك: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران: أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثير فيقولون وهو يسمع: إن كثيراً لا يلتفت من تيهه. فكان الرجل يأتيه من وراه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميصه.

سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال: بلغني أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال وحق علي بن أبي طالب إنه كما ذكرت؟ قال كثير: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقك لصدقتك. قال: لا أسألك إلا بحق أبي تراب . فحلف له به فرضي.

تمثل عبد الملك بشعر له حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب وحديثه معه عن هذه الحرب: أخبرنا الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا المؤملي عن ابن أبي عبيدة، قالوا جميعاً. لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاويه وهي أم ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنة لحرب مصعب، فإن آل الزبير ذكروا خروجك، وابعث إليها الجيوش، وبكت وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابن أبي جمعة ! فأين قوله: صوت

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه ... حصانٌ عليها عقد درٍ يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه ... بكت فبكى مما شجاها قطينها

غناه ابن سريج ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق والله لكنه يراني ويراك يا عاتكة، ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحوي في خبره ووافقه عليه عمر بن شبة: فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثير في ناحية عسكره يسير مطرقاً، فدعا به وقال: لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بتك، فإن أخبرتك عنه أتصدقني؟ قال نعم ! قال: وحق أبي تراب لتصدقني، قال: والله لأصدقنك. قال: لا أو تحلف به، فحلف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقي أحدهما صاحبه فيحاربه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر ولا آمن سهماً عائراً لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما ! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت. قال: فارجع من قريب، وأمر له بجائزة.

بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه: أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تمام الطائي حبيب بن أوس قال حدثني العطاف بن هارون عن يحيى عن حمزة قاضي دمشق قال حدثني حفص الأموي قال: كنت أختلف إلى كثير أتروى شعره. قال: فوالله إني لعنده يوماً إذا وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلب بالعقر. فقال: ما أجل الخطب ! ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ! ثم انتضحت عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنة الله ! أترابيةً وعصبية ! وجعل يضحك منه.

سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لكثير: من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟ قال: من يروي أمير المؤمنين شعره. فقال عبد الملك: أما إنك لمنهم.

جواب عبد الملك له وقد سأله عن شعره: أخبرنا وكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابن أبي عوف عن عوانة قال: قال كثير لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبق السحر، ويغلب الشعر.

كان عبد الملك يروي أولاده شعره: أخبرنا عمي عن الكراني عن النضر بن عمر قال: كان عبد الملك بن مروان يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختوماً يرويهم إياه ويرده.

نزل مرعي لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم: أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجهني: أن كثيراً شب في حجر عمٍ له صالح، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه، وكان غير جيد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور. فاشترى له عمه قطيعاً من الإبل وأنزله فرش ملل فكان به، ثم ارتفع فنزل فرع المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن جبل جهينة الأصغر، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفصى، فضيقوا على كثير وأساءوا جواره، فانتقل عنهم وقال:

أبت إبلي ماء الرداة وشفها | بنو العم يحمون النضيح المبردا
وما يمنعون الماء إلا ضنانةً | بأصلاب عسرى شوكها قد تخددا
فعادت فلم تجهد على فضل مائه | رياحاً ولا سقيا ابن طلق بن أسعدا

قال: ويروى أنه أول شعر قاله.

روايته عن بدء قوله الشعر: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال: قال كثير: ما قلت الشعر حتى قولته. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان ، إذا راكبٌ قد دنا مني حتى صار على جنبي، فتأملته فإذا هو صفر وهو يجر نفسه في الأرض جراً. فقال لي: قل الشعر وألقاه عليه. قلت: من أنت؟ قال: أنا قرينك من الجن. فقلت الشعر.

عزة عشيقته وأول عشقه لها: ونسب كثير لكثرة تشبيبه بعزة الضمرية إليها، وعرف بها فقيل كثير عزة. وهي عزة بنت حميل بن وقاص. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الحسن قال: أبو بصرة الغفاري المحدث واسمه حميل بن وقاص هو أبو عزة التي كان ينسب بها كثير. وكان ابتداء عشقه إياها على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك كاذباً ولم يكن بعاشق، وذلك يذكر بعد خبره معها فيما أخبرني به الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم السعدي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن جميع الخزاعي: أنه كان أول عشق كثير عزة أن كثيراً مر بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم، فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة، فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع، فأعطاها كبشاً وأعجبته. فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه، فقال: وأين الصبية التي أخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها ! هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعت الكبش إليها. وخرج وهو يقول:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه | وعزة ممطولٌ معنىً غريمها

قال: فكان أول لقائه إياها.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن الخضر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جندل عن أبيه عبد العزيز الخزاعي وأمه جمعة بنت كثير عن أمه جمعة عن أبيها كثير: أن أول علاقته بعزة أنه خرج من منزله يسوق خلف غنمٍ إلى الجار ، فلما كان بالخبت وقف على نسوةٍ من بني ضمرة فسألهن عن الماء، فقلن لعزة وهي جارية حين كعب ثدياها: أرشديه إلى الماء، فأرشدته وأعجبته. فبينا هو يسقى غنمه إذ جاءته عزة بدراهم، فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك: فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً، وقال: ردي الدراهم وقولي لهن: إذا رحت بكن اقتضيت حقي.. فلما راح مر بهن، فقلن له: هذا حقك فخذه. فقال: عزة غريمي ، ولست أقتضي حقي إلا منها. فمزحن معه وقلن: ويحك ! عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقك فأحله إلى إحدانا فإنها أملأ به منها وأسرع له أداء. فقال: ما أنا بمحيلٍ حقي عنها. ومضى لوجهه، ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جلبه فأنشدهن فيها:

نظرت إليها نظرةً وهي عاتقٌ | على حين أن شبت وبان نهودها
وقد درعوها وهي ذات مؤصدٍ | مجوبٍ ولما يلبس الدرع ريدها
من الخفرات البيض ود جليسها | إذا ما انقضت أحدوثةٌ لو تعيدها

في هذا البيت وأبيات أخر معه غناءٌ يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه. وأنشدهن أيضاً:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه | وعزة ممطولٌ معنىً غريمها

فقلن له: أبيت إلا عزة ! وأبرزنها إليه وهي كارهة. ثم أحبته عزة بعد ذلك أشد من حبه إياها. قال الزبير: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخزاعي المعروف بأبي جندل عن هذا الحديث، فعرفه وحدثنيه عن أبيه عن جده عبد العزيز بن أبي جندل عن أمه جمعة بنت كثير عن أبيها.

سؤال عبد الملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها: وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المعيطي، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق الطلحي، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأسدي وغيره، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال: دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزت، فقال لها أنت عزة كثير ! فقالت: أبا عزة بنت حميل. قال: أنت التي يقول لك كثير:

لعزة نارٌ ما تبوخ كأنها إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما الذي أعجبه منك؟ قالت: كلا يا أمير المؤمنين ! فوالله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي: فقالت له: أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة. قال: وكانت له سن سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت. فقالت له: هذا الذي أردت أن أبديه. فقال لها: هل تروين قول كثير فيك:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والخليفة كالتي عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت لا ! ولكني أروي قوله:

كأني أنادي صخرةً حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلةً فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد وفي غير هذه الرواية: أنها أدخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لها: أرأيت قول كثير:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه وعزة ممطول معنىً غريمها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبلةٌ وعدته إياها. قالت: أنجزيها وعلي إثمها.

قصة غلام له مع عزة وإعتاقه بسبب ذلك: أخبرنا الحسن بن الطيب البجلي الشجاعي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال روى ابن جعدبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جعدبة عن أبيه.

أن كثيراً كان له غلام تاجر، فباع من عزة بعض سلعه ومطلته مدة وهو لا يعرفها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاي:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه وعزة ممطولٌ معنىً غريمها

فانصرف عنه خجلة. فقالت له امرأة: أتعرف عزة؟ قال: لا والله !. قالت: فهذه والله عزة. فقال: لا جرم والله لا آخذ منها شيئاً ولا أقتضيها. ورجع إلى كثير فأخبره بذلك، فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده.

لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حكيم السلمي عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلمية، وكنيتها أم البنين، قالت: سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجهينة، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها فرأينا امرأة حلوةً حميراء نظيفة، فتضاءلنا لها، ومعها نسوةٌ كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخلق، إلى أن تحدثت ساعةً فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا، وما نرى في الدنيا امرأة تروقها جمالاً وحسناً وحلاوة.

سأل عبد الملك كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه: أخبرني عمي قال حدثني الفضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر شيخ له عن الهيثم بن عدي: أن عبد الملك سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة، فقال: حججت سنَة من السنين وحج زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منا بصاحبه. فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها ببتياع سمن تصلح به طعاماً لأهل رفقته، فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمةً حتى دخلت إلي وهي لا تعلم إنها خيمتي، وكنت أبري أسهماً لي. فلما رأيتها جعلت أبري وأنا انظر إليها ولا أعلم حتى بريت عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري. فلما تبينت ذلك دخلت إلي فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نحيٌ من سمن، فحلفت لتأخذنه، فأخذته وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته، حتى حلف لتصدقنه فصدقته، فضربها وحلف لتشتمني في وجهي. فوقفت علي وهو معها فقالت لي: يا بن الزانية وهي تبكي، ثم انصرفا. فذلك حين أقول:

يكلفها الخنزير شتمي وما بها هواني ولكن للمليك استذلت

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء: صوت

خليلي هذا رسم عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكى وما موجعات القلب حتى تولت
فليت قلوصي عند عزة قيدت بحبل ضعيفٍ بان منها فضلت
وأصبح في القوم المقيمين رحلها وكان لها باغ سواي فبلت
فقلت لها ياعز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
أسيئي بنا أو أحسني، لا ملومُة لدينا ولا مقليةٌ إن تقلت
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزة من أعراضنا ما استحلت
تمنيتها حتى إذا ما رأيتها رأيت المنايا شرعاً قد أظلت
كأني أنادي صخرةً حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العصم ذلت
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلةً فمن مل مها ذلك الوصل ملت
أصاب الردى أن كان يهوى لك الردى وجن اللواتي قلن عزة جنت

عروضه من الطويل. غنى معبد في الخمسة الأول ثقيلاً أول بالوسطى. وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أول بالبنصر عن عمرو، وغنى في هنيئاً مريئاً والذي بعده خفيف رملٍ بالوسطى. وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل. وذكر الهشامي أن لابن سريج في هنيئاً مريئاً وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر. وذكر أحمد بن المكي أن لإبراهيم في " كأني أنادي " والذي بعده وفي أسيئي بنا أو أحسني هزجاً بالسبابة في مجرى البنصر، ولإسحاق فيه هزج آخر به " . ولعريب في " كأني أنادي أيضاً رمل. ولإسحاق في وما كنت أدري ثقيل أول. وله في أصاب الردى ثقيل أول أخر، وقيل: إن لإبراهيم في فقلت لها يا عز خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان وإلى سياط.

اجتمعا ذات ليلة ووصف ذلك صديق له: أخبرني الحرمي وحبيب بن نصر قالا حدثنا الزبير قال حدثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجهني عن أبيه قال: سارت علينا عزة في جماعة من قومها، فنزلت حيالنا، فجاءني كثير ذات يوم فقال لي: أريد أن أكون عندك اليوم فاذهب إلى عزة، فصرت به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العشاء، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمه وقال: إذا سلمت فاستخرج إليك جارية، فادفع إليها خاتمي وأعلمها مكاني. فجئت بيتها فسلمت فخرجت إلي الجارية فأعطيتها الخاتم. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صخرات أبي عبيد الليلة، فواعدتها هناك، فرجعت إليه فأعلمته. فلما أمسى قال لي: انهض بنا، فنهضنا فجلسنا هناك نتحدث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدثا فاطألا، فذهبت لأقوم. فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أخليكما ساعة لعلكما تتحدثان ببعض ماتكتمان. قال لي: إجلس ! فوالله ما كان بيننا شيء قط. فجلست وهما يتحدثان وإن بينهما لثمامةً عظيمه هي من ورائها جالسة حتى أسحرنا، ثم قامت فانصرفت، وقمت أنا وهو فظل عندي حتى أمسى ثم انطلق.

سامته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي قال: خرج كثير في الحاج بجمل له يبيعه، فمر بسكينة بنت الحسين ومعها عزة وهو لا يعرفها. فقالت سكينة: هذا كثير فسوموه بالجمل، فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضع عنا فأبى. فدعت له بتمر وزبد فأكل، ثم قالت له: ضع عنا كذا وكذا لشيء يسير فأبى. فقالوا: قد

أكلت يا كثير بأكثر مما نسألك ! فقال: ما أنا بواضعٍ شيئاً. فقالت سكينة: اكشفوا، فكشفوا عنها وعن عزة. فلما رأهما استحيا وانصرف وهو يقول: هو لكم هو لكم
قال بعض الرواة أنه لم يكن صادقاً في عشقه: من ذكر أن كثيراً كان يكذب في عشقه: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال: كان كثير مدعياً ولم يكن عاشقاً، وكان جميلٌ صادق الصبابة والعشق.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عبيدة يقول كان جميل يصدق في حبه، وكلن كثير يكذب.

ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مشيتها، فلم يعرفها كثير فاتبعها وقال: يا سيدتي ! قفي حتى أكلمك فاني لم أر مثلك قط، فمن أنت ويحك؟ قالت: ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد؟ قال: بأبي أنت ! والله لو أن عزة أمة لي لوهبتها لك.

قالت: فهل لك في المخاللة؟ قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: إني وكيف بما قلت في عزة؟! قال: أقلبه فأحوله إليك. فسفرت عن وجهها ثم قالت: أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا ! فأبلس ! ولم ينطق وبهت. فلما مضت أنشأ يقول:

ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي ... من السم جدحاتٌ بماء الذرارح
فمت ولم تعلم علي خيانة ... وكم طالبٍ للريح ليس برابح
أبوء بذنبي إنني قد ظلمتها ... وإنني بباقي سرها غير بائح

لقي عزة في طريقه إلى مصر وتعاتبا: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوم قال أخبرني سائب راوية كثير قال: خرجت معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزة فإذا هي في خباء، فسلمنا جميعاً، فقالت عزة: وعليك السلام يا سائب. ثم أقبلت على كثير فقالت: ويحك ! ألا تتقي الله ! أرأيت قولك:

بآية ما أتيتك أم عمرو ... فقمت لحاجتي والبيت خالي

أخلوت معك في بيت أو غير بيت قط ؟! قال. لم أقله، ولكنني قلت:

فأقسم لو أتيت البحر يوماً ... لأشرب ما سقتني من بلال
وأقسم إن حبك إم عمرو ... لداءٌ عند منقطع السعال

قالت: أما هذا فنعم. فأتينا عبد العزيز ثم عدنا فقال كثير: عليك السلام يا عزة قالت: عليك السلام يا جمل فقال كثير. صوت

حيتك عزة بعد الهجر فانصرفت ... فحي ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما زلت ذامقة ... عندي وما مسك الإدلاج والعمل
ليت التحية كانت لي فأشكرها ... ما كان يا جملٌ حييت يا رجل

ذكر يونس أن في هذه الأبيات غناء لمعبد. وذكر الهشامي أن فيها لبثينة خفيف رمل بالبنصر. وذكر حبش أن فيها للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى، ولإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

الديوان

دَعِينا ابنَة الكعبيِّ والمَجْدَ والعُلى

دَعِينا ابنَة الكعبيِّ والمَجْدَ والعُلى

ورَاعي صِوَاراً بالمدينَةِ أحْسَبَا

أبوكَ الذي لمّا أتى مَرْجَ رَاهِطٍ

وقد أَلَبُوا للشّرّ فيمَنْ تألَّبا

تشدّأ للأعداء حتى إذا انتهوا

إلى أمرهِ طوعاً وكرهاً تحبَّبا

رأيتُ أبا الوليدِ غداةَ جمع

رأيتُ أبا الوليدِ غداةَ جمعٍ

بهِ شيبٌ وما فقد الشبابا

فقُلْتُ لهُ ولا أعيا جواباً

إذا شابَتْ لِداتُ المَرْءِ شَابَا

ولكِنْ تَحْتَ ذَاكَ الشّيْبِ حزْمٌ

إذا ما ظَنَّ أمرَضَ أوْ أصَابَا

فكَمْ مِنْ يَتامى بُوَّسٍ قد جَبَرْتَها

فَكَمْ مِنْ يَتامى بُوَّسٍ قد جَبَرْتَها

وألبستها من بعد عري ثيابها

وأرملةٍ هلكى ضعافٍ وصلتها

وأسرى عناةٍ قد فككتَ رقابها

فتىً سادَ بالمعروف غير مدافع

كهولَ قريشٍ كلّها وشبابها

أراهُمْ مَنَارَاتِ الهُدى مستنيرةً

ووافقَ منها رشدها وصوابها

وَرَاضَ برفقٍ ما أرَادَ ولم تَزَلْ

رياضتهُ حتّى أذلَّ صعابها

أشاقكَ برقٌ آخرَ الليلِ واصبُ

أشاقكَ برقٌ آخرَ الليلِ واصبُ

تضمّنهُ فرْشُ الجَبَا فالمَسَاربُ

يجرُّ ويستأني نشاصاً كأنَّهُ

بغَيْقَةَ حادٍ جَلْجَلَ الصَّوْتَ جالبُ

تألّقَ واحمومى وخيَّمَ بالرُّبى

أحمُّ الذُّرى ذو هيدبٍ متراكبُ

إذا حرّكتهُ الريحُ أرزمَ جانبٌ

بلا هزَقٍ مِنه وأوْمضَ جانِبُ

كما أمضت بالعين ثمَّ تبسَّمتْ

خَريعٌ بدا منها جبينٌ وحاجِبُ

يمجُّ النَّدى لا يذكُر السَّيرَ أهلهُ

ولا يَرْجع الماشي بهِ وَهْوَ جادِبُ

وَهبْتُ لسُعدى ماءهُ ونَبَاتَهُ

كما كُلُّ ذي وُدّ لِمَنْ وَدَّ وَاهِبُ

لتروى به سعدى ويروى محلُّها

وتُغدِقَ أعدادٌ به ومشاربُ

تذكرت سُعدي والمطيُّ كأنَّهُ

بآكامِ ذي رَيْطٍ غَطاطٌ قَواربُ

فَقَدْ فُتْنَ مُلْتجّاً كأنَّ نئيجَهُ

سُعالُ جَوٍ أعْيَتْ عليه الطَّبَائِبُ

فقلتُ وَلَمْ أمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَةٍ

سقى أهلَ بيسانَ الدُّجونُ الهواضبُ

وإنّي ولو صَاحَ الوشاةُ وطَرَّبوا

لمُتَّخِذٌ سُعْدى شباباً فناسبُ

يقولون أجْمِعْ من عُزيْزَةَ سَلْوَةً

وكيف؟ وهل يسلو اللَّجوجُ المطالبُ؟

أعزُّ! أجدَّ الرَّكبُ أن يتزحزحوا

وَلَمْ يعتبِ الزَّاري عليكِ المعاتبُ

فأحْيِي هداكِ الله مَنْ قَدْ قَتَلِهِ

وعاصي كما يُعْصى لديه الأقاربُ

وإنَّ طلابي عانساً أمَّ ولدةٍ

لممّا تُمَنّيني النُّفوسُ الكواذبُ

ألا ليتَ شعري هل تغيَّرَ بعدنا

أراكٌ فصرْما قادم،فتناضِبُ؟

فبُرقُ الجبا، أم لا ؟ فهنَّ كعهدنا

تنزّى على آرامهنَّ الثعالبُ

تقي اللهُ فيهِ - أمَّ عمروٍ-ونوِّلي

موَدَّتَهُ لا يَطْلُبَنَّكِ طالِبُ

ومن لا يُغَمِّضْ عَينَهُ عن صَديقِهِ

وَعَنْ بَعْضِ ما فيه يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبُ

ومن يَتَتَبَّعْ جاهِداً كلَّ عَثْرَةٍ

يجدْها ولا يسْلَمْ له الدَّهْرَ صاحِبُ

فلا تأمنيهِ أن يسرَّ شماتةً

فيُظهرها إن أعقبتهُ العواقبُ

كأنْ لم أقل والليلُ ناجٍ بريدُهُ

وقد غالَ أميالَ الفِجَاجِ الرَّكائِبُ

خليليَّ حثّا العيسَ نصبحْ وقد بدتْ

لنا من جِبَال الرّامتين مَناكِبُ

فوالله ما أدري أآتٍ على قلىً

وبادي هوانٍ منكمُ ومغاضبُ

سَأمْلُكُ نفسي عَنْكُمْ إنْ ملكتُها

وهلْ أغلبنْ إلاّ الذي أنا غالبُ

حليلةُ قذّافِ الديارِ كأنّهُ

إذا ما تَدانينا من الجيشِ هاربُ

إذا ما رآني بارزاً حالَ دونَها

بمَخْبَطَةٍ يا حُسْنَ مَنْ هُوَ ضَاربُ

ولو تُنْقَبُ الأضْلاعُ أُلْفِيَ تَحْتَها

لسعدى بأوساطِ الفؤادِ مضاربُ

بها نعمٌ من ماثلِ الحبِّ واضحٌ

بمجتمع الأشراجِ ناءٍ وقاربُ

تَضَمّنَ داءً منذ عِشْرينَ حِجّةً

لكُمْ ما تُسَلّيهِ السّنونَ الكواذبُ

ولا أنت، فاشْكُرْهُ يُثِبْكَ مُثِيبُألا طَرَقَتْ بعدَ العِشاءِ جَنُوبُ

ولا أنت، فاشْكُرْهُ يُثِبْكَ مُثِيبُألا طَرَقَتْ بعدَ العِشاءِ جَنُوبُ

..وذلك منها- إن عجبتَ- عجيبُ

تسدَّتْ ومرٌّ دوننا وأراكُهُ

ودورانُ أمسى دونها ونقيبُ

ونحنُ ببطحاءِ الحجون كأنّنا

مِرَاضٌ لَهُمْ وَسْطَ الرّحال نَحِيبُ

فحيّتْ نِياماً لم يَرُدُّوا تحيّةً

إليها، وفي بعض اللّمام شغوبُ

لقد طَرَقَتْنَا في التَّنائي وإنّها

على القُرْبِ عِلْمي للسُّرى لهيُوبُ

أُحِبّكِ ما حَنّتْ بغَوْرِ تهامَةٍ

إلى البوِّ مقلاتُ النِّتاجِ سلوبُ

وما سجعَتْ في بطنِ وادٍ حمامةٌ

يجاوبُها صاتُ العَشِيِّ طَرُوبُ

وإني ليثنيني الحياءُ فأنثني

وأقعُدُ والمَمْشَى إليكِ قريبُ

وآتي بيوتاً حَوْلَكُمْ لا أُحِبّها

وأكثرُ هجرَ البيتِ وهوَ جنيبُ

وأُغْضِي على أشيَاءَ منكِ تَريبُني

وأُدْعَى إلى ما نَابَكُمْ فأُجِيبُ

وما زلتُ مِنْ ذِكْرَاكِ حتَّى كأنَّني

أميمٌ بأكنافِ الدّيارِ سليبُ

وحتَّى كأنّي من جَوَى الحُبِّ منكُمُ

سليبٌ بصحراءِ البريح غريبُ

أبُثُّكِ ما ألقى وفي النَّفْسِ حَاجَةٌ

لها بين جلدي والعظامِ دبيبُ

أراكمْ إذا ما زرتُكمْ- وزيارتي

قليلٌ - يُرَى فيكم إليَّ قُطوبُ

أبيني أتعويلٌ علينا بما أرَى

مِنَ الحبِّ أمْ عندي إليك ذنوبُ

أبيني: فإمّا مُسْتَحِيرٌ بعِلّةٍ

عَلَيَّ، وإمَّا مُذْنِبٌ فأتوبُ

حلفتُ وما بالصّدق عيبٌ على امرىءٍ

يَرَاهُ، وبعضُ الحالفينَ كذوبُ

بربِّ المطايا السّابحاتِ وما بنتْ

قريشٌ وأهدتْ غافقٌ وتُجيبُ

وملقى الولايا منْ منىً حيثُ حلَّقَتْ

إيادٌ وحلَّتْ غامدٌ وعتيبُ

يمينَ امرئٍ لم يغشَ فيها أثيمةً

صَدوقٌ وَفَوْقَ الحالِفينَ رَقيبُ

لَنِعْمَ أبو الأضيافِ يَغْشَوْنَ نَارَهُ

وملقى رحال العيس وهيَ لغوبُ

ومختبَطُ الجادي إذا ما تتابعتْ

على النَّاس مثنى قرَّةٍ وجُدوبُ

وحامي ذمار القوم في ما ينوبُهم

إذا ما اعترَتْ بعد الخطوبِ خُطُوبُ

على كلّ حالٍ إنْ ألمّتْ مُلِمّةٌ

بنا عُمَرٌ، والنَّائِباتُ تَنُوبُ

فتىً صمتُهُ حلمٌ، وفصلٌ مقالهُ

وفي البأسِ محمودُ الثَّناءِ صليبُ

خطيبٌ إذا ما قال يوماً بحكمةٍ

من القولِ مغشيُّ الرّواقِ مهيبُ

كثيرُ النَّدى يأتي النَّدى حيثما أتى

وإنْ غابَ غابَ العُرْفُ حيثُ يَغِيبُ

كريمُ كرام لا يُرى في ذوي النَّدى

لهُ في النَّدى والمأثراتِ ضريبُ

أبيٌّ أبى أن يعرفَ الضيمَ غالبٌ

لأعدائه، شَهْمُ الفؤادِ أريبُ

يُقلّبُ عينيْ أزرقٍ فوقَ مرقبٍ

يفاعٍ لهُ دونَ السَّماءِ لصوبُ

غدا في غداةٍ قرَّةٍ فانتحتْ لهُ

على إثر وُرّادِ الحمامِ جنوبُ

جنى لأبي حفصٍ ذرى المجدِ والدٌ

بنى دونهُ للبانيين صعوبُ

فهذا على بنيانِ هذين يبتني

بناهُ وكلٌّ منجبٌ ونجيبُ

وجدٌّ أبيه قَدْ يُنافي على البُنا

بناهَ، وكلٌّ شبَّ وهو أديبُ

فأنتَ على منهاجهمْ تقتدي بهم

أمامَك ما سَدّوا وأنتَ عقيبُ

فأصبحتَ تحذو من أبيكَ كم حذا

أبوكَ أباهُ فعلّهُ فتُصيبُ

وأمسيتَ قلباً نابتاً في أرُومةٍ

كما في الأُرومِ النّابتاتِ قلوبُ

أبوكَ أبو العاصي فمن أنت جاعلٌ

إليهِ، وبعضُ الوالدينِ نجيبُ

وأنتَ المنقّى مِنْ هنا ثمَّ مِنْ هُنا

ومِنْ هاهُنا والسَّعدُ حينَ تؤوبُ

أقمتَ بهلكى مالكٍ حينَ عضَّهمْ

زمانٌ يعُرُّ الواجدينَ عصيبُ

وأنت المُرَجَّى ، والمُفَدَّى ، لِهَالِكٍ

وأنْتَ حَلِيمٌ نافعٌ وَمُصِيبُ

وَلِيتَ فلم تُغْفِلْ صديقاً، ولم تَدَعْ

رَفيقاً، ولم يُحْرَمْ لديكَ غريبُ

وأحييتَ مَنْ قَدْ كان مَوَّتَ مالهُ

فإن مُتَّ مَنْ يُدْعى له فيجيبُ

نصبتَ لسوراتِ العلا فاحتويتَها

وأنت لسوراتِ العلاء كسوبُ

وما الناسُ أعطوكَ الخلافة والتُّقى

ولا أنت، فاشْكُرْهُ يُثِبْكَ مُثِيبُ

ولكنّما أعطاكَ ذلكَ عالمٌ

بما فيكَ معطٍ للجزيلِ وهوبُ

لا بأسَ بالبزواءِ أرضاً لو أنَّها

لا بأسَ بالبزواء أرضاً لو أنَّها

تُطهَّرُ مِنْ آثارِهِمْ فتطيبُ

إذا مَدَحَ البكْريُّ عِنْدَكَ نَفْسهُ

فقلْ: كذبَ البكريُّ وهو كذوبُ

هو التّيس لؤماً وَهْوَ إنْ رَاءَ غَفْلَةً

من الجارِ أو بعضِ الصَّحابةِ، ذيبُ

ميراثُ والدهِ، والعرقُ منتسبُ

يا ابنَ الأكارمِ والمحمودِ سَعْيُهُمُ

وابنَ الذي عُوقِبَتْ في قَتْلِهِ العَرَبُ

عفا السَّفحُ من أمِّ الوليدِ فكبكبُ

عفا السَّفحُ من أمِّ الوليدِ فكبكبُ

فَنَعْمَانُ وَحْشٌ فالرَّكيُّ المثقَّبُ

خلاءٌ إلى الأحواضِ عافٍ وقد يُرى

سوامٌ يعافيهِ مُراحٌ ومُعزبُ

على أنَّ بالأقوازِ أطلالَ دمنةٍ

تجدُّ بها هوجُ الرياح وتلعبُ

لعزَّةَ إذ حبلُ المودّةِ دائمٌ

وإذا أنْتَ مَنْبُولٌ بعزَّةَ مُعْجَبُ

وإذْ لا ترى في الناسِ شيئاً يفوقها

وفيهنَّ حسنٌ- لو تأمّلتَ - مجنبُ

هَضِيمُ الحَشا رُودُ المَطا بَخْتَرِيّة

جميلٌ عليها الأتحميُّ المنشَّبُ

هي الحُرَّةُ الدَّلُّ الحَصَانُ وَرَهْطُها

- إذا ذُكر الحيُّ - الصَّرِيحُ المهذَّبُ

رأيْتُ وأصْحَابي بأيلةَ موْهِناً

وَقَدْ لاح نَجْمُ الفَرْقَدِ المُتَصوِّبُ

لعزَّةَ ناراً ما تبوخُ كأنَّها

إذا ما رَمقْناها مِنَ البُعْدِ كَوْكبُ

تَعَجَّبَ أصْحَابي لها حِينَ أوقِدَتْ

وللمصطلوها آخرَ الليلِ أعجبُ

إذا ما خَبَتْ مِنْ آخِرِ اللّيلِ خَبْوةً

أُعِيدَ لها بالمَنْدليِّ فَتُثْقَبُ

وَقَفْنَا فَشُبّتْ شَبّةً فَبَدَا لنا

بأهضامِ واديها أراكٌ وتنضُبُ

وَمِنْ دونَ حيثُ استُوْقِدَتْ مِنَ مُجَالِخٍ

مَراحٌ ومغدىً للمطيِّ وسبسبُ

أنَتْنا بِرَيَّاها وللعيسِ تَحْتَنا

وجيفٌ بصحراءِ الرُّسيسِ مهذَّبُ

جنوبٌ تُسامي أوْجُه الرّكْبِ مَسُّها

لذيذٌ ومسراها من الأرض طيِّبُ

فيا طولَ ما شوقي إذا حالَ دونَها

بُصاقٌ ومن أعلامِ صِنْدِدَ مَنْكِبُ

كأنْ لمْ يوافقْ حجَّ عزَّةَ حَجُّنا

ولم يلقَ ركباً بالمحصَّبِ أركبُ

حَلَفْتُ لها بالرَّاقصاتِ إلى منىً

تُغِذُّ السُّرى كَلْبٌ بهنَّ وَثَعْلِبُ

وَربِّ الجيادِ السّابحاتِ عَشِيّةً

مع العصرِ إذْ مرَّتْ على الحَبْلِ تَلْحَبُ

لعزَّة همُّ النفس منهنَّ لو ترى

إليها سبيلاً، أو تُلِمُّ فَتُصْقِبُ

ألامُ على أُمّ الوليدِ، وحبُّها

جوىً داخلٌ تحتَ الشَّراسيفِ ملهبُ

ولو بذلتْ أمُّ الوليدِ حديثها

لعُصمٍ برضوى أصبحتْ تتقرَّبُ

تَهَبّطْنَ مِنْ أكْنَافِ ضَأْسٍ وأيلةٍ

إليها ولو أغرى بهنَّ المُكلّبُ

تلعَّبُ بالعزهاةِ لم يدرِ ما الصِّبا

ويِيأسُ مِنْ أُمِّ الوليدِ المجرِّبُ

ألا لَيْتَنا يا عَزَّ كُنَّا لِذِي غِنًى

بعيرينِ نرعى في الخلاءِ ونعزُبُ

كِلانا به عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يقُلْ

على حسنِها جرباءُ تُعدي وأجربُ

إذا ما وَردنا مَنْهلاً صَاحَ أهلُهُ

علينا فما ننفكُّ نُرمى ونُضربُ

نكونُ بعيريْ ذي غنىً فيُضيعُنا

فلا هُوَ يرْعانا ولا نَحْن نُطْلَبُ

يُطْرِدُنا الرُّعيانُ عَنْ كُلِّ تلْعةٍ

ويمنعُ مِنّا أنْ نُرى فيه نَشْرَبُ

وددتُ -وبيتِ اللهِ- أنّكِ بكرةٌ

هجانٌ وأنّي مُصعَبٌ ثمَّ نهرُبُ

رَمَتْني على عَمْدٍ بُثَيْنة بَعْدما

رَمَتْني على عَمْدٍ بُثَيْنَة بَعْدما

تولّى شبابي وارجحنَّ شبابُها

بعينين نَجْلاوين لوْ رَقْرَقَتْهُمَا

لنوءِ الثريّا لاستهلَّ سحابُها

ولكنّما تَرْمِينَ نفساً مَريضَةً

لعزَّةَ منها صفوُها ولُبابُها

عفت غيقةٌ من أهلها فجنوبُها

عفت غيقةٌ من أهلها فجنوبُها

فرَوْضَةُ حَسْنَا قاعُها فَكَثَيْبُها

منازلُ من أسْمَاءَ لم يَعْفُ رَسْمَها

رياحُ الثّرَيّا خِلْفَةً فضَريبُها

تلوحُ بأطرافِ البُضيع كأنّها

كتابُ زُبورٍ خُطَّ لدناً عسيبُها

إذا لم تكونوا ناصري أهل حقّها

وملفينَ عند النَّصر ممّن يجيبُها

فسيروا بُراءً في تَفَرُّقِ مالكٍ

بنُصْحٍ وأرحامٍ يَئِطُّ قَرِيبُها

وهل مالكٌ إلاّ أسودُ خفيّةٍ

إذا لم تُعاطَ الحقَّ بادٍ نُيوبُها

تلظّى النّصالُ الزُّرقُ فوقَ خُدُورها

وتمضي أنابيبُ القنَا وكُعُوبُها

أمِن آلِ سَلْمى دِمنَةٌ بالذنَّائِبِ

أمِن آلِ سَلْمى دِمنَةٌ بالذنَّائِبِ

إلى المِيثِ مِنْ رَيعانَ ذاتِ المطاربِ

يَلُوحُ بأطْرَافِ الأحِذَّةِ رَسْمُها

بذي سَلَمٍ أطلالُها كالمذاهِبِ

أقامَتْ بِهِ حَتَّى إذا وَقَدَ الحَصَى

وَقَمّص صَيْدانُ الحَصَى بالجِنَادِبِ

وهبّتْ رِيَاحُ الصَّيْفِ يَرْمِينَ بالسَّفا

بَلِيّةَ باقي قَرْمَلٍ بالمآثِبِ

طَلَعْنَ عَلَيْنَا بَيْنَ مُرْوَةَ فالصَّفَا

يمُرنَ على البطحاءِ مورَ السَّحائبِ

فَكِدْنَ لَعَمْرُ اللهِ يُحْدِثْنَ فِتْنَةً

لِمُخْتَشِعٍ من خَشْيَةِ اللهِ تَائِبِ

وفي اليأسِ عن سلمى وفي الكِبرِ الذي

أصابَكَ شُغْلٌ للمُحبِّ المُطالِبِ

فَدَعْ عَنْكَ سَلْمى إذ أتى النّأيُ دُونَهَا

وحلَّتْ بأكنافِ الخُبيتِ فغالبِ

سَقَى الله حَيّاً بالمُوَقَّرِ دارُهُمْ

إلى قسطلِ البلقاءِ ذاتِ المحاربِ

سَوَاريَ تُنْحِي كُلَّ آخرِ ليْلَةٍ

وصوبَ غمامٍ باكراتِ الجنائبِ

أناسٌ يَنَالُ الماءَ قبلَ شِفَاهِهِمْ

لهُ وافراتُ العِرضِ شُمُّ الأرانبِ

يُحيَّونَ بَسَّامِينَ طَوْراً وتارَةً

يُحيَّونَ عَبَّاسينَ شوسَ الحَوَاجِبِ

من النّفَرِ البيضِ الذينَ إذا انتجَوْا

أقرَّتْ لِنَجْوَاهُمْ لؤيُّ بنُ غالِب

إذا النّضْرُ وَافَتْها على الخَيْلِ مَالِكٌ

وَعَبْدُ مَنافٍ والتقوا بالجَبَاجِبِ

إذا ضَرَبُوا يوماً بها الآلَ زيّنوا

مَسانِدَ أشراقٍ بها وَمَغاربِ

إلى الأبيضِ الجَعْدِ ابنِ عَاتِكَةَ الذي

له فَضْلُ مُلْكٍ في البريَّةِ غَالِبِ

كَريمٌ يَؤُولُ الرَّاغِبُونَ ببابِهِ

إلى وَاسِعِ المَعْروفِ جَزْلِ المَوَاهِبِ

إمامُ هدىً قد سدَّدَ اللهُ رأيهُ

وَقَدْ أحْكَمَتْهُ مَاضِيَاتُ التَّجاربِ

ولم يبلغ السّاعونَ في المجدِ سعيهُ

ولم يفضلوا إفضالهُ في الأقاربِ

جزتكَ الجوازي عن صديقكَ نضرة ً

وقرَّبْتَ من مأوى طَريدٍ وَرَاغِبِ

وصاحبِ قومٍ مُعصمٌ بكَ حقُّهُ

وجارُ ابن ذي قُربى وآخر جانبِ

رأيتُكَ والمعروفُ منكَ سجيّةٌ

تَعُمُّ بِخَيْرٍ كُلَّ جادٍ وَغَائِبِ

أبُوكَ غَدَاةَ الجِزْعِ مِنْ أرْضِ مَسْكَنٍ

يَؤُمُّ العِدا بالجَمْعِ بَعْدَ المَقَانِبِ

تَشَوَّفَ من صوتِ الصَّدَى كُلَّما دَعَا

تَشَوَّفَ من صوتِ الصَّدَى كُلَّما دَعَا

تَشَوُّفَ جَيْدَاءِ المُقَلَّدِ مُعْيِبِ

تباري حراجيجاً عتاقاً كأنَّها

شرائجُ معطوفٍ من القضبِ مصحبِ

إذا ما بَلَغْنَا الجهْدَ منها تَوَعَّبَتْ

وضيعُ زمامٍ كالحباب المسيَّبِ

أضرَّ بها علقُ السُّرى كلَّ ليلة

إليكَ فإسادي ضُحى ً كُلَّ صَيْهَبِ

حليمٌ إذا ما نالَ عاقبَ مجملاً

أشدَّ العقاب، أو عفا لم يثرِّبِ

فعَفْواً أميرَ المؤمنينَ وحِسْبة ً

فما تكتسبْ من صالح لكَ يُكتَبِ

أساؤوا فإنْ تَغْفِرْ فإنَّكَ أهْلُهُ

وأفضلُ حلمٍ حسبةً حلمُ مغضبِ

نفتهمْ قريشٌ عنْ أباطح مكةٍ

وذي يمنٍ بالمشرفيِّ المشطَّبِ

جزتك الجوازي عن صديقك نضرةً

جزتك الجوازي عن صديقك نضرةً

وأدناك ربّي في الرّفيق المقرّبِ

فإنَّكَ لا يُعطي عليكَ ظلامَةً

عدوٌ،ولا تنأى عن المتقرِّبِ

وإنَّكَ مَا تَمْنَعْ فإنّكَ مانِعٌ

بحقٍّ، وما أعطيْتَ لم تَتَعَقَّبِ

متى تأتِهِمْ يوماً من الّدهرِكُلِّهِ

تَجِدْهُمْ إلى فضْلٍ على النَّاسِ تُرتَّبِ

كأنّهُمُ مِنْ وحْشِ جِنٍّ صَريمةٌ

بعبقرَ لمّا وُجِّهتْ لم تغيَّبِ

إذا حُلُلُ العَصْبِ اليماني أجادها

أكُفُّ أساتيذٌ على النَّسْجِ دُرَّب

أتاهُمْ بها الجاني فَرَاحوا، عليهمُ

تَوَائِمُ مِنْ فضْفَاضِهِنَّ المُكَعَّبِ

لها طُررٌ تحتَ البنائقِ أُذنِبتْ

إلى مُرْهَفَاتِ الحَضْرَميّ المُعقرَبِ

أيتُ ابنةَ الضمريِّ عزّة أصبحتْ

رأيتُ ابنةَ الضمريِّ عزّة أصبحتْ

رأيتُ ابنةَ الضمريِّ عزّة أصبحتْ

كمُحْتَطِبٍ ما يَلْقَ باللّيل يَحْطِبِ

وكانت تُمَنّينا وتزْعُمُ أنّها

كبيض الأنوق في الصَّفا المتنصِّبِ

رجعتُ بها عنّي عشيّةَ برمةٍ

شماتةَ أعداءٍ شُهودٍ وغيّبِ

تَيَمَّمْتُ لَهْباً أبتغي العِلْم عِنْدَهُمْ

تَيَمَّمْتُ لَهْباً أبتغي العِلْم عِنْدَهُمْ

وقد رُدَّ علمُ العائفين إلى لهبش

تَيَمَّمْتُ شيخاً منهُمُ ذا بَجَالةٍ

بصيراً بزجر الطَّير منحني الصّلبِ

فقُلتُ لهُ ماذا تَرى في سَوَانِحٍ

وصوتِ غُرابٍ يفحصُ الوجهَ بالتُّربِ

فَقَالَ جَرَى الظُّبيُ السَّنيحُ ببيْنِها

وقال غُرابٌ: جَدَّ مُنهمِرُ السَّكْبِ

فإلاَّ تَكُنْ ماتَتْ فَقَدْ حَالَ دُونَهَا

سِوَاكَ خَليلٌ باطنٌ من بَني كعبِ

لتبكِ البواكي المبكياتُ أبا وهبِ

لتبكِ البواكي المبكياتُ أبا وهبِ

عَلَى كُلِّ حَالٍ من رخاءٍ وَمِنْ كَرْبِ

أخا السِّلمِ لا يعيا إذا هيَ أقبلتْ

عليهِ، ولا يجوي معانقة الحربِ

فإن تَكُ قد وَدَّعْتَنا بعدَ خُلَّةٍ

فنِعم الفَتَى في الحَيِّ كُنْتَ وفِي الرَّكبِ

سَقَى الله وَجْهاً غادَرَ القومُ رَسْمَهُ

مقيماً ومرّوا غافلينَ على شعْبِ

إنَّ امرءاً كَانتْ مَسَاوئُهُ

إنَّ امرءاً كَانتْ مَسَاوئُهُ

حُبَّ النّبيِّ لَغَيْرُ ذي عَتْبِ

وَبَني أبي حَسَنٍ وَوَالِدِهِمْ

من طابَ في الأرحامِ والصُّلبِ

أترون ذنباً أنْ نحبَّهمُ

بل حبُّهمْ كفّارةُ الذَّنبِ

فَلَوْلا الله ثُمَّ نَدَى ابنِ لَيْلَى

فَلَوْلا الله ثُمَّ نَدَى ابنِ لَيْلَى

وأنّي في نوالِكَ ذو ارتغابِ

وَبَاقي الوُدِّ مَا قَطَعَتْ قَلُوصي

مهامه بين مصرَ إلى غرابِ

فلم تقرضْ بلاكثَ عن يمينٍ

ولمْ تمررْ على سهلِ العنابِ

وكنتُ عتبتُ معتبةً فلجَّتْ

بيَ الغُلواءُ عَنْ سُنَنِ العِتَابِ

وما زالتْ رقاكَ تسلُّ ضغني

وتُخْرِجُ مِن مَكَامِنِها ضِبابي

وَيَرْقِيني لَكَ الحَاوُونَ حَتَّى

أجابكَ حيَّةٌ تحتَ الحجابِ

سأجْزِيهِ بها رَصَداتِ شُكْرٍ

على عدواءِ داري واجتنابي

وَنَازَعني إلى مَدْحِ ابن ليلى

قوافيها منازعةَ الطِّرابِ

فَلَيْسَ النّيلُ حِينَ عَلَتْ قَراهُ

غوالبهُ بأغلبَ ذي عبابِ

بأفضلَ نَائِلاً منهُ إذا مَا

تَسَامَى الماءُ فانغَمَسَ الرَّوَابي

ويغمُرنا إذا نحنُ التقينا

بطامي الموجِ مُضطربِ الحبابِ

وَيَضْربُ مِنْ نوالِكَ في بلادٍ

من المعروفِ واسعةٍ رحابِ

وأنتَ دَعَامَةٌ منْ عبدِ شَمْسٍ

إذا انتجبوا من السِّرِّ اللُّبابِ

من اللائي يَعُودُ الحِلْمُ فيهمْ

وَيُعطونَ الجَزِيلَ بلا حِسَابِ

وهم حكّامُ معضلةٍ عقام

فكم بعثوا به فصلَ الخطابِ

إذا قرعوا المنابرَ ثم خطّوا

بأطْرافِ المَخَاصِرِ كالغِضَابِ

قضوا فيها، ولم يتوهّموها،

بِفَاصِلَةٍ مُبَيّنةِ الصَّوابِ

وهمْ أحلى إذا ما لم تثرهمْ

على الأحناكِ من عذق ابن طابِ

أبوكَ حَمَى أُميّةَ حِينَ زَالتْ

دعائمُها وأصحرَ للضِّرابِ

وكان المُلكُ قد وهنت قواهُ

فردَّ المُلكَ منها في النِّصابِ

خليليَّ هذا ربعُ عُزَّةَ فاعقلا

خليليَّ هذا ربعُ عُزَّةَ فاعقلا

قلوصيكُما ثمّ ابكيا حيثُ حلّتِ

ومُسّا تراباً كَانَ قَدْ مَسَّ جِلدها

وبيتاً وَظِلاً حَيْثُ باتتْ وظلّتِ

ولا تيأسا أنْ يَمْحُوَ الله عنكُما

ذنوباً إذا صَلّيْتما حَيْثُ صلّتِ

وما كنتُ أدري قبلَ عَزَّةَ ما البُكا

ولا مُوجِعَاتِ القَلبِ حتَّى تَوَلَّتِ

وما أنصفتْ أمّا النساءَ فبغضَّتْ

إلينا وأمّا بالنوال فضنَّتِ

فَقَدْ حَلَفَتْ جَهْداً بما نحرَتْ له

قريشٌ غداةَ المأزمين وصلّتِ

أُناديكَ ما حجَّ الحجيجُ وكبَّرتْ

بفيفاءِ آلٍ رُفقةٌ وأهلَّتِ

وما كبَّرتْ من فوق رُكبةَ رُفقةٌ

ومِنْ ذي غَزَالٍ أشعرَتْ واسْتَهَلَّتِ

وكانت لقطع الحبل بيني وبينها

كناذرةٍ نذراً وفتْ فأحلّتِ

فقلتُ لها : يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ

إذا وُطِّنت يوماً لها النّفسُ ذلّتِ

ولم يلقَ إنسانٌ من الحبِّ ميعةً

تَعُمُّ ولا عَمياءَ إلاّ تجلّتِ

فإن سألَ الوَاشُونَ فيمَ صرمْتَها

فقُل نفسُ حرٍّ سُلِّيت فَتَسلّتِ

كأنّي أُنادي صَخْرَةً حِينَ أعْرَضَتْ

من الصُمِّ لو تمشي بها العصمُ زلّتِ

وحلّتْ تلاعاً لم تكنْ قبلُ حُلّتِ

فَلَيْتَ قَلُوصي عِنْدَ عَزَّةَ قُيّدَتْ

بحبلٍ ضَعيفٍ غُرَّ منها فضَلّتِ

وَغُدِرَ في الحَيِّ المُقِيمينَ رَحْلُها

وَكَانَ لَها باغٍ سِوَايَ فبلّتِ

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رجلٍ صحيحةٍ

وَرِجْلٍ رَمى فيها الزَّمانُ فشَلَّتِ

وَكُنْتُ كَذَاتِ الظِّلعِ لمّا تَحَامَلَتْ

على ظِلْعها بَعْدَ العثَارِ اسْتقلَّتِ

أُريدُ الثَّوَاءَ عِنْدَها وأظُنّها

إذا ما أطلنا عندَها المُكثَ ملَّتِ

يُكلِّفُها الخنزيرُ شَتْمِي وَمَا بِهَا

هواني ولكنْ للمليكِ استزَلّتِ

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ

لعزَّةَ من أعراضنا ما استحلَّتِ

وَواللهِ ما قاربتُ إلاّ تباعدتْ

بصَرمٍ ولا أكثرتُ إلاّ أقلَّتِ

ولي زَفراتٌ لو يدُمْنَ قَتَلْنَنِي

توالي التي تأتي المُنى قَدْ تَوَلَّتِ

وكنّا سلكنا في صعودٍ من الهوى

فلمّا توافينا ثبتُّ وزلَّتِ

وكنّا عقدنا عقدة الوصل بيننا

فلمّا تواثقنا شددتُ وحلَّتِ

فإن تكن العتبى فأهلاً ومرحباً

وحُقَّتْ لها العتبى لدينا وقلَّتِ

وإن تكن الأُخْرَى فإنَّ وَرَاءَنا

بِلاداً إذا كَلَّفْتُها العِيسَ كَلَّتِ

خليليَّ إنَّ الحاجبيّةَ طلَّحتْ

قلوصيكُما وناقتي قد أكلَّتِ

فَلاَ يَبْعُدَنْ وَصلٌ لِعَزَّة أصْبَحَتْ

بعاقبةٍ أسبابهُ قد تولَّتِ

أسِيئي بنا أو أحْسِني لا مَلُومَةً

لدينا ولا مَقْلِيّةً إنْ تَقَلَّتِ

ولكنْ أنيلي واذكري من مودّةٍ

لنا خُلَّةً كانتْ لديكمْ فضلَّتِ

وإنّي وإنْ صَدَّتْ لمُثْنٍ وَصَادِقٌ

عليها بما كانتْ إلينا أزلَّتِ

فما أنا بالدّاعي لعزَّةَ بالرَّدى

ولا شامتٍ إن نَعْلُ عَزَّةَ زلَّتِ

فلا يَحْسَبِ الواشُونَ أنَّ صَبَابتي

بعزّة كانتْ غمرةً فتجلَّتِ

فأصبحتُ قدْ أبللتُ مِنْ دنفٍ بها

كما أُدنفتْ هيماءُ ثمَّ اسْتَبَلَّتِ

فواللهِ ثم اللهِ لا حلَّ بعدَها

ولا قبلَها من خُلَّةٍ حيث حلَّتِ

وما مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومِها

وإن عَظُمَتْ أيامُ أُخرى وَجَلَّتِ

وحلَّتْ بأعلى شاهقٍ من فؤادِهِ

فلا القلبُ يسلاها ولا النّفسُ ملَّتِ

فَوَا عَجَباً للقلبِ كَيْفَ اعتِرَافُهُ

وَلِلنّفْسِ لمّا وُطنِّت فاطْمَأَنَّتِ

وإني وتَهيامي بعَزَّة بعْدما

تخلّيتُ مِمّا بيْننا وتخلّتِ

لكالمُرتجي ظلَّ الغمامةِ كُلَّما

تبوَّأ منها للمقيلِ اضمحلّتِ

كأنّي وإيّاها سحابةُ ممحلٍ

رَجَاها فَلَمّا جَاوَزَتْهُ استَهَلّتِ

أأطْلالَ دَارٍ بالنِّياعِ فَحُمَّتِ

أأطْلالَ دَارٍ بالنِّياعِ فَحُمَّتِ

سألتُ فلمّا استعجمتْ ثم صُمَّتِ

عجبتُ لأنَّ النّائحاتِ وقد علتْ

مُصيبتُهُ قهراً فعمَّتْ وأصحتِ

نَعَيْنَ وَلَوْ أسْمَعْنَ أعْلاَمَ صِنْدِدٍ

عِظاماً ولا هاماً لَهُ قَدْ أرَمّتِ

وللأرضُ أمّا سودُها فتجلّلتْ

بَياضاً وأمّا بيضُها فادْهأمَّتِ

نَمَتْ لأبي بَكْرٍ لِسانٌ تتابَعَتْ

بعارفةٍ منهُ فخصَّت وعمَّتِ

كأنَّ ابنَ ليلى حين يبدو فتنجلي

سجوفُ الخباءِ عن مهيبٍ مُشمَّتِ

إذا ما لَوَى صِنْعٌ بهِ عربيّةً

كَلَوْنِ الدِّهَانِ وَرْدَةً لم تَكَمَّتِ

مقاربُ خطوٍ لا يُغَيِّر نعلَهُ

رَهِيفُ الشّراكِ سَهْلَةُ المُتَسَمَّتِ

إذا طُرِحَتْ لم تَطَّبِ الكَلْبَ ريحُها

وإن وُضِعَتْ في مَجْلِسِ القَوْمِ شُمِّتِ

هوَ المرءُ لا يُبدي أسىً عن مصيبةٍ

ولا فرحاً يوماً إذا النفسُ سُرَّتِ

قليلُ الألايا حافظٌ ليمينهِ

فإن سَبَقَتْ مِنْهُ الأَلِيَّةُ بَرَّتِ

حليمٌ كريمٌ ذو أناةٍ وإربةٍ

بصيرٌ إذا ما كُفةُ الحبلِ جُرَّتِ

وشعثاءِ أمرٍ قد نزتْ بين غالبٍ

تلافيتَها قبل التّنائي فلُمَّتِ

وأبرأتها لم يجرح الكلمُ عظمَها

إذا غبت عنها رُبِّعتْ ثمَّ أمَّتِ

غمومٌ لطيرِ الزّاجريها أريبةٌ

إذا حَاوَلَتْ ضُرّاً لِذِي الضِّغْنِ ضَرَّتِ

حِبَالُ سُجَيْفَةَ أمْسَتْ رثّاثا

حِبَالُ سُجَيْفَةَ أمْسَتْ رثّاثا

فسقياً لها جدُداً أوْ رماثا

إذا حَلَّ أهْلِيَ بالأبرَقَيْنِ

أبرق ذِي جُدَدٍ أو دَءاثا

وحلَّتْ سُجيفةُ من أرضها

روابيَ يُنبتنَ حفرى ، دماثا

تُتَاربُ بيضاً إذا استَلْعَبَتْ

كأدمِ الظّباءِ ترُفُّ الكباثا

كأنَّ حدائجَ أظعانها

بغَيْقَة لمّا هَبَطْنَ البراثا

نَواعِمُ عُمٌّ عَلى مِيثَبٍ

عِظامُ الجُدُوعِ أُحِلَّتْ بُعاثا

كَدُهْمِ الرِّكَابِ بأثْقَالِهَا

غدتْ من سماهيجَ أو مِنْ جُواثا

وَخُوصٍ خَوامِسَ أوْرَدْتُها

قُبَيْلَ الكَوَاكِبِ ورْداً مُلاثا

مِنَ الرَّوْضتين فجَنْبَيْ رُكَيحٍ

كلقطِ المُضلَّةِ حلياً مُباثا

تُوَالي الزِّمامَ إذا مَا دَنَتْ

رَكَائِبُهَا واخْتَنَثْنَ اخْتِنَاثا

وَذِفْرَى كَكَاهِلِ ذِيخِ الخَلِيفِ

أصابَ فريقةَ ليلٍ فعاثا

تلقَّطها تحتَ نوءِ السِّماكِ

وَقَدْ سَمِنَتْ سَوْرَةً واثَّجاثا

لوى ظِمْئَهَا تَحْتَ حَرِّ النُّجُومِ

يحبُسها كسلاً أوْ عباثا

فَلَمَّا عَصَاهُنَّ خَابَثْنَهُ

برَوْضَةِ آلِيتَ قَصْراً خِبَاثا

فأوردهنَّ من الدَّونكين

حشارجَ يحفرنَ فيها إراثا

لواصبَ قد أصبحتْ وانطوتْ

وقد أطولَ الحيُّ عنها لباثا

مُدِلٌّ يَعَضُّ إذا نَالَهُنَّ

مِراراً وَيُدنِينَ فاهُ لِكَاثا

وصفراءَ تلمعُ بالنّابلينَ

كلمْعِ الخريعِ تحلَّتْ رعاثا

هَتُوفاً إذا ذاقَها النَّازِعُونَ

سَمِعْتَ لها بَعْدَ حَبْضٍ عِثاثا

تَئِنُّ إلى العَجْمِ والأبْهَرَين

أنينَ المَريضِ تَشَكّى المُغاثا

ألمْ يحزُنكَ يومَ غدتْ حُدُوجُ

ألمْ يحزُنكَ يومَ غدتْ حُدُوجُ

لعزَّةَ إذْ أجدَّ بها الخروجُ

بضاحي النَّقبِ حينَ خرجن منهُ

وخلفَ متون ساقتها الخليجُ

رأيتُ جمالها تعلو الثنايا

كأنَّ ذرى هوادجها البُروجُ

وَقَدْ مَرَّتْ عَلَى تُرَبَانَ تُحْدى

لها بالنَّعْفِ مِنْ مَلَلٍ وَسيجُ

رأيتُ حدوجها فظللتُ صبّاً

تهيّجني مع الحزن الحدوجُ

إذا بصرتْ بها العينان لُجَّتْ

بدَمْعِهِمَا مَعَ النَّظرِ اللّجوجُ

وَبالسَّرْحَاتِ مِنْ وَدّانَ رَاحَتْ

عليها الرَّقْمُ كالبَلَقِ البهيجُ

وهاجتني بحَزْمِ عُفَاريَاتٍ

وقد يهتاجُ ذو الطَّربِ المهيجُ

على فُضُلِ الرّواعِ تَضَمّنَتْها

خَصيباتُ المعالفِ والمُروجُ

يشُجُّ بها ذؤابةَ كلِّ حزنٍ

سَبُوتٌ أو مُوَاكَبَةٌ دَرُوجُ

وفي الأحداج حين دنونَ قصراً

بحزنِ سُويقةٍ بقرٌ دُمُوجُ

حِسَانُ السَّيْرِ لا مَتَوَاتِرَاتٌ

ولا مِيلٌ هَوادِجُها تَمُوجُ

فكِدْتُ وقد تَغَيّبَتِ التّوالي

وَهُنَّ خواضِعُ الحَكَماتِ عُوجُ

بِذِي جَدِدٍ من الجَوْزَاءِ مُوفٍ

كأنَّ ضَبَابَهُ القُطُنُ النَّسِيجُ

وَقَدْ جَاوَزْنَ هَضْبَ قُتَائداتٍ

وَعَنَّ لهُنَّ مِن ركَكٍ شُروجُ

أموتُ ضَمَانَةً وَتَجَلّلتني

وقد أتهمنَ مُرِدِمةٌ ثلوجُ

كأنَّ دموعَ عيني يومَ بانتْ

دلاةٌ بلّها فرطٌ مهيجُ

يُريعُ بها غَدَاةَ الورْدِ سَاقٍ

سريحُ المتحِ بكرتُهُ مريجُ

فَلَوْ أبْدَيتِ وُدَّكِ أُمَّ عَمْرٍو

لدى الإخوان ساءهمُ الوليجُ

لكانَ لحبِّكِ المكتومِ شأنٌ

عَلى زَمَنٍ وَنَحْنُ بهِ نَعِيجُ

تُؤمِّلُ أنْ تُلاقيَ أمَّ عمروٍ

بمكَّةَ حيثُ يجتمعُ الحجيجُ

لعزَّةَ هاجَ الشَّوقَ فالدّمعُ سافحُ

لعزَّةَ هاجَ الشَّوقَ فالدّمعُ سافحُ

مَغانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ ماصِحُ

بذي المَرْخِ والمَسْرُوحِ غيّرَ رَسمَها

ضَروبُ النَّدَى قَدْ أعْتَفَتْهَا البَوَارِحُ

لِعَيْنَيْكَ مِنها يَوْمَ حَزْمِ مَبَرَّةٍ

شَريجَانِ مِنْ دَمْعٍ: نَزِيعٌ وَسَافِحُ

أتيٌّ وَمَفْعُومٌ حَثِيثٌ كأنَّهُ

غروبُ السّواني أترعتها النَّواضحُ

إذا ما هرقنَ الماءَ ثم استقينَهُ

سَقَاهُنَّ جَمٌّ مِنْ سُمَيْحَةَ طَافِحُ

ليالِيَ منها الواديان مظنَّةٌ

فبُرقُ العنابِ دارُها فالأباطحُ

لياليَ لا أسْمَاءُ قالِ مودّع

ولا مُرْهِنٌ يوماً لك البذلَ جارحُ

صَديقٌ إذا لاقَيْتَهُ عَنْ جَنابةٍ

ألَدُّ إذا نَاشَدْتَهُ العَهْدَ بائِحُ

وإذْ يبرئُ القرحى المِراضَ حديثُها

وَتَسْمُو بأسْمَاءَ القُلُوبُ الصَّحَائِحُ

فأُقسمُ لا أنسى ولو حالَ دونَها

مَعَ الصَّرْمِ عَرْضُ السّبْسبِ المُتَنَازحُ

أمنّي صرمتِ الحبلَ لمّا رأيتني

طريدَ حروبٍ طرَّحتهُ الطَّوارحُ

فأسْحَقَ بُرادُهُ وَمَحَّ قميصه

فأثوابهُ ليستْ لهنَّ مضارحُ

فأعرضتِ إنَّ الغدرَ منكنَّ شيمةٌ

وفجعَ الأمين بغتةً وهو ناصحُ

فلا تَجْبَهيهِ وَيْبَ غيركِ إنَّهُ

فتىً عنْ دنيّاتِ الخلائق نازحُ

هُوَ العَسَلُ الصَّافِي مِرَاراً وتارةً

هو السُّمُّ تستدمي عليهِ الذَّرارحُ

لعلَّكِ يوماً أن تَرَيْهِ بِغِبْطَةٍ

تودّينَ لو يأتيكُمُ وهوَ صافحُ

يروقُ العيونَ الناظراتِ كأنَّهُ

هِرْقليُّ وَزْنٍ أحْمَرُ التِّبرِ رَاجحُ

وآخرُ عهدٍ منكِ يا عزُّ إنّهُ

بذِي الرِّمثِ قَولٌ قُلْتِهِ وَهْوَ صَالِحُ

مُلاحُكِ بالبردِ اليماني وقد بدا

من الصَّرمِ أشراطٌ لهُ وهو رائحُ

ولم أدرِ أنَّ الوصلَ منكِ خلابةٌ

كَجَاري سَرَابٍ رَفْرَقَتْهُ الصَّحاصِحُ

أغرَّكِ مِنَّا أنَّ دَلَّكِ عندنا

!وإسجادَ عينيكِ الصَّيودين رابحُ؟

وأنْ قَدْ أصَبْتِ القَلْبَ منّي بغُلَّةٍ

!وصبٍّ لهُ في أسوَدِ القلبِ قادحُ؟

وَلَوْ أنَّ حبّي أُمَّ ذِي الوَدْعِ كُلَّهُ

لأهْلِكِ مالٌ لمْ تَسَعْهُ المَسارحُ

يَهيمُ إلى أسْمَاءَ شَوقاً وَقَدْ أتَى

لهُ دونَ أسماءَ الشُّغولُ السَّوانحُ

وأقْصَرَ عن غَرْبِ الشَّبَابِ لِدَاتُهُ

بعاقبةٍ وابيضَّ منهُ المسائحُ

ولكنّهُ مِنْ حُبِّ عَزَّةَ مُضْمِرٌ

حباءً بهِ قدْ بطّنتهُ الجوانحُ

تُصرِّدُنا أسماءُ، دامَ جمالُها

وَيَمْنَحُها منّي المودَّةَ مانِحُ

خليليَّ! هل أبصرتُما يومَ غيقةٍ

لعزَّةَ أظعاناً لهنَّ تمايُحُ

ظَعائِنُ كالسَّلوى التي لا يُحزنها

أوِ المنّ، إذْ فاحَتْ بهنَّ الفَوَائِحُ

كأنَّ قَنَا المرّانِ تَحْتَ خُدُورِها

ظباءُ الملا نِيطَتْ عليها الوَشَائِحُ

تَحَمَّلُ في نَجْرِ الظَّهيرَةِ بَعْدَما

توقَّدَ من صحنِ السُّرير الصَّرادحُ

عَلى كلّ عَيْهَامٍ يَبُلُّ جَدِيلَهُ

يُجيلُ بذِفْرَاهُ، وباللّيتِ قَامِحُ

خَلِيلَيَّ رُوحَا وانْظُرا ذا لُبانَةٍ

بِهِ باطنٌ منْ حُبّ عَزَّةَ قَادِحُ

سبتني بعينيْ ظبيةٍ يستنيمُها

إلى أُرُكٍ بالجزعِ من أرضِ بيشةٍ

عَلَيهنَّ صيّفْنَ الحَمَامُ النَّوائحُ

كأنَّ القماريَّ الهواتفَ بالضُّحى

إذا أظهرتْ قيناتُ شربٍ صوادحُ

وذي أشرٍ عذبِ الرُّضابِ كأنَّهُ

-إذا غارَ أردافُ الثريّا السوابحُ-

مُجاجةُ نحلٍ في أباريقَ صُفِّقتْ

بصفقِ الغوادي شعشعته المجادحُ

ويُروى بريّاها الضَّجيعُ المُكافحُ

وَغِرٍّ يُغادي ظَلْمَهُ ببَنَانِها

مع الفَجْرِ من نَعمانَ أخْضَرُ مَائِحُ

قضى كلَّ ذِي دَيْنٍ وعزَّةُ خُلَّةٌ

لهُ لم تُنلهُ فهوَ عطشانُ قامحُ

وإني لأكْمي النَّاسَ ما تَعِدِينَني

من البخل أنْ يثري بذلك كاشحُ

وأرضى بغير البذل منها لعلَّها

تُفَارِقُنا أسْمَاءُ والودُّ صَالِحُ

وأصبحتُ وَدَّعْتُ الصِّبا غيرَ أنَّني

لعزَّةَ مُصفٍ بالمناسبِ مادحُ

أبائنةٌ يا عزُّ غدواً نواكمُ

سقتكِ الغوادي خلفةً والروائحُ

من الشُمِّ مِشْرَافٌ يُنِيفُ بقُرْطها

أسِيلٌ إذا ما قُلْدَ الحَلْيَ وَاضِحُ

أقولُ ونِضْوي واقِفٌ عِنْدَ رَمْسِها

أقولُ ونِضْوي واقِفٌ عِنْدَ رَمْسِها

عَلَيكِ سَلامُ الله والعينُ تسفَحُ

فهذا فراقُ الحقِّ لا أن تزيرني

بلادَكِ فَتْلاءُ الذِّرَاعَيْنِ صَيْدحُ

وَقَدْ كُنْتُ أبكي مِنْ فِرَاقِكِ حَيَّةً

وأنتِ لعمري اليومَ أنأى وأنزحُ

فَيَا عَزَّ أنْتِ البَدْرُ قد حَالَ دُونَهُ

رجيعُ ترابٍ والصّفيحُ المُضرَّحُ

فَهَلاّ فَدَاكِ الموتَ مَنْ أنْتِ زيْنُهُ

وَمَنْ هُوَ أسْوَا مِنْكِ دَلاً وأقبحُ

على أمِّ بكرٍ رحمةٌ وتحيّةٌ

لها منكِ والنّائي يودُّ وينصحُ

سراجُ الدّجى صفر الحشا منتهى المُنى

كشمس الضُّحى نوّامةٌ حينَ تُصبحُ

إذا ما مشت بين البيوتِ تخزَّلتْ

ومالتْ كما مالَ النَّزيفُ المرنَّحُ

تعلَّقْتُ عزّاً وهْيَ رُؤدٌ شَبَابُها

عَلاَقَةَ حُبٍّ كَادَ بالقلبِ يَرْجحُ

منعَّمةٌ لو يدرجُ الذرُّ بينها

وبين حواشي بُردِها كادَ يجرحُ

وما نظرت عيني إلى ذي بشاشةٍ

من النّاسِ إلاّ وهيَ في العينِ أملحُ

ألا لا أرى بَعْدَ ابنَةِ النَّضْرِ لذَّةً

لِشَيءٍ ولا مِلْحاً لمَنْ يَتَمَلَّحُ

فإنَّ التي أحببتُ قد حالَ دونها

طوالُ الليالي والضّريحُ المُصفَّحُ

أربَّ بعينيَّ البُكا كلَّ ليلةٍ

وقد كادَ مجرى الدَّمع عيني يُقرِّحُ

إذا لم يكنْ ما تسفحُ العينُ لي دماً

وشرُّ البكاءِ المُستعارُ المُسيَّحُ

فلا زَالَ رَمْسٌ ضَمَّ عزَّةَ سَائِلاً

بهِ نعمةٌ من رحمة الله تسفحُ

وإنّكَ عمري هل ترى ضوءَ بارقٍ

وإنّكَ عمري هل ترى ضوءَ بارقٍ

عريضَ السَّنا ذي هيدَبٍ متزحزح

قَعَدْتُ لهُ ذاتَ العِشَاءِ أشِيمُهُ

بمرٍّ وأصحابي بجُبَّةِ أذرُح

ومنهُ بذي دورانَ لمعٌ كأنَّهُ

بُعيدَ الكَرَى كَفًّا مُفِيضٍ بأقدُح

فقُلْتُ لهُمْ لمَّا رأيْتُ وَمِيضَهُ

ليُرْوَوْا بِهِ أهْلَ الهِجَانِ المُكشَّح

قبائلَ من كعبِ بن عمرٍو كأنَّهمْ

إذا اجْتَمَعُوا يوماً هِضَابُ المُضَيَّح

تحلُّ أدانيهم بودّانَ فالشّبا

وَمَسْكِنُ أقصاهُمْ بِشُهْدٍ فَمِنصَح

عَجِبْتُ لِبُرْئِي مِنْكَ يَا عَزَّ بَعْدَمَا

عَجِبْتُ لِبُرْئِي مِنْكَ يَا عَزَّ بَعْدَمَا

عمرتُ زماناً منكِ غيرَ صحيح

فإنْ كَانَ بُرْءُ النّفسِ لي مِنْكِ رَاحَةً

فَقَدْ بَرِئَتْ إنْ كَانَ ذَاكَ مُريحي

تَجَلّى غِطَاءُ الرَّأسِ عَنّي وَلَمْ يَكَدْ

غِطَاءُ فُؤَادِي يَنْجَلِي لِسَرِيح

سَلاَ القَلْبُ عَنْ كبْرَاهُمَا بَعْدَ حِقْبَةٍ

ولُقّيتُ من صغراهُما ابن بريح

فلا تذكروا عندي عقيبةَ إنّني

تبينُ إذا بانتْ عقيبةُ روحي

أبَتْ إبلي مَاءَ الرِّداهِ وَشَقَّها

أبَتْ إبلي مَاءَ الرِّداهِ وَشَقَّها

بنوا العمِّ يحمونَ النّضيحَ المبرَّدا

وَمَا يَمْنَعُونَ المَاءَ إلاَّ ضَنَانَةً

بأصْلابِ عُسْرَى شَوْكُها قد تَخَدّدا

فَعَادَتْ فَلَمْ تَجْهَدْ عَلى فَضْلِ مائهِ

رياحاً ولا سقيا ابن طلق بن أسعدا

إذا وردتْ رغباءَ في يوم وردِها

قلُوصي، دعا إعطاشهُ وتبلّدا

فإنّي لأستحييكُمُ أن أذمَّكمْ

وأُكْرِمُ نَفْسي أنْ تُسِيئُوا وأحْمَدَا

وَلَقَدْ لَقِيتَ على الدُّرَيْجَةِ لَيْلَةً

وَلَقَدْ لَقِيتَ على الدُّرَيْجَةِ لَيْلَةً

كانتْ عليكَ أيامناً وسعودا

لا تغدُرنَّ بوصلِ عزَّة بعدما

أخذتْ عليكَ مواثقاً وعهودا

إنَّ المُحِبَّ إذا أحَبَّ حَبِيبَهُ

صدقَ الصَّفاءَ وأنجزَ الموعودا

الله يَعلمُ لَوْ أرَدْتُ زِيَادَةً

في حبِّ عزَّةَ ما وجدتُ مزيدا

رُهبانُ مديَنَ والذينَ عهدتُهُمْ

يبكونَ مِنْ حذرِ العذابِ قعودا

لو يسمعونَ كما سمعتُ كلامَها

خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعاً وسُجودا

والميْتُ يُنشَرُ أنْ تَمَسَّ عِظامَهُ

مَسّاً وَيَخْلُدُ أنْ يَرَاكِ خُلودا

أتَاني وَدُوني بَطنُ غَوْلٍ وَدُونَهُ

أتَاني وَدُوني بَطنُ غَوْلٍ وَدُونَهُ

عمادُ الشِّبا من عينِ شمسٍ فعابدُ

نعيُّ ابنِ ليلى فاتبعتُ مصيبةً

وقد ضقتُ ذرعاً والتَّجلُّدُ آيدُ

وَكِدْتُ وَقَدْ سَالَتْ مِنَ العَيْنِ عَبْرَةٌ

سَهَا عَانِدٌ مِنْهَا وأسْبَلَ عَانِدُ

قَدِيتُ بِهَا والعَيْنُ سَهْوٌ دُمُوعُها

وَعُوَّارُها في بَاطِنِ الجَفْنِ زائدُ

فإنْ تُركتْ للكحلِ لم يترُكِ البُكا

وتشرى إذا ما حثحثتْها المراودُ

أمُوتُ أسًى يَوْمَ الرِّجَامِ وإنَّني

يقيناً لرهنٌ بالذي أنا كابدُ

ذكَرْتُ ابنَ لَيْلَى والسَّمَاحَةَ بَعْدَمَا

جَرَى بيننا مَوْرُ النَّقَا المُتَطَارِدُ

وَحَالَ السَّفا بَيْنِي وَبَيْنَكَ والعِدَى

وَرَهْنُ السَّفَا غَمْرُ النَّقِيبَةِ مَاجِدُ

حَلَفْتُ يميناً بالَّذي وَجَبَتْ لَهُ

جُنُوبُ الهَدَايا والجِبَاهُ السَّوَاجِدُ

لِنِعْمَ ذوو الأضياف يَغْشَوْنَ بَابَهُ

إذا هَبَّ أرياحُ الشِّتَاءِ الصَّوَارِدُ

إذا استَغْشَتِ الأجْوَافَ أجْلاَدُ شَتْوَةٍ

وأصْبَحَ يَحْمُومٌ بِهِ الثَّلْجُ جَامِدُ

أأطْلاَلُ سلمى باللّوَى تَتَعَهَّدُ

أأطْلاَلُ سلمى باللّوَى تَتَعَهَّدُ

وَلَمَّا وَقَفْنَا والقُلُوبُ على الغَضَا

وللدَّمع سحٌّ والفرائصُ تُرعدُ

وَبَيْنَ التَّراقي واللَّهَاةِ حَرَارَةٌ

مكان الشَّجا ما إنْ تبوحُ فتبرُدُ

أقُولُ لِمَاءِ العَيْنِ أمْعِنْ، لعَلَّهُ

بما لا يُرَى مِنْ غَائِبِ الوَجْدِ يَشْهدُ

فَلَمْ أدْرِ أنَّ العَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِها

غَدَاةَ الشَّبَا مِنْ لاَعِجِ الوَجْدِ تجْمدُ

ولم أرَ مثلَ العين ضنَّتْ بمائها

عَلَيَّ ولا مِثْلِي على الدَّمْعِ يَحسُدُ

وَسَاوَى عَلَيَّ البينَ أنْ لم يَرَيْنَني

بَكَيْتُ، ولم يُترَكْ لِذِي الشَّجْوِ مَقْعَدُ

وَلَمَّا تَدَانَى الصُّبْحُ نَادُوا برحْلَةٍ

فقمنَ كسالى مشيُهنَّ تأوُّدُ

إلى جِلْةٍ كالهُضْبِ لمِ تَعْدُ أنّها

بوازلُ عامٍ والسَّديسُ المُعبَّدُ

إلى كُلِّ هَجْهَاجِ الرَّوَاحِ كأنَّهُ

شَجِ بِلَهَاةِ الحَلْقِ أوْ مُتَكَيِّدُ

تمجُّ ذفاريهنَّ ماءً كأنّهُ

عَصِيمٌ على جَارِ السَّوَالِفِ مُعْقَدُ

وهنَّ مناخاتٌ يُجلَّلنَ زينةً

كما اقتانَ بالنَّبتِ العهادُ المُجوَّدُ

تأطّرْنَ حتَّى قُلْتُ لسْنَ بَوارحاً

وذبنَ كما ذابَ السَّديفُ المسرهدُ

عَبيراً وَمِسْكاً مَانَهُ الرَّشْحُ رَادِعاً

بهِ محجرٌ أو عارضٌ يتفصَّدُ

وأجْمَعْنَ بَيْناً عَاجِلاً وَتَرَكْنَنِي

بفيفا خُريم قائماً أتلدَّدُ

كما هاجَ إلفاً ضابحاتٌ عشيةً

لَهُ وَهْوَ مَصْفُودُ اليَدَيْنِ مُقَيَّدُ

فَقَدْ فُتْنَنِي لمّا وَرَدْنَ خَفَيْنناً

وَهُنَّ عَلَى مَاءِ الحَرَاضَةِ أبْعَدُ

فوالله ما أدري أطيخاً تواعدوا

لتمٍّ ظمٍ أم ماءَ حيدةَ أوردوا؟

وبالأمس مَا رَدُّوا لبينٍ حِمَالُهُمْ

لعمري، فعيلَ الصَّبرَ من يتجلَّدُ

وقد علمتْ تلك المطيَّةُ أنَّكمْ

مَتَى تَسْلُكُوا فَيْفَا رَشادٍ تَخوَّدوا

ألا أنْ نَأتْ سَلْمَى فأنْتَ عَمِيدُ

ألا أنْ نَأتْ سَلْمَى فأنْتَ عَمِيدُ

ولمّا يُفدْ منها الغداةَ مفيدُ

ولستَ بممسٍ ليلةً ما بقيتَّها

وَلا مُصْبِحٌ إلا صِبَاكَ جَدِيدُ

دِيَارٌ بَأعْنَاءِ السُّرَيْرِ كأنَّمَا

عَلَيْهِنَّ في أكْنَافِ غَيْقَة شِيدُ

تَمُرُّ السّنونَ الخَالِيَاتُ وَلا أرَى

بصَحْنِ الشَّبا أطْلاَلَهُنَّ تبيدُ

فَغَيْقَةُ فَالأكْفَالُ أكْفَالُ ظَبْيَةٍ

تظلُّ بها أدمُ الظِّباءِ تَرودُ

وَخَطْبَاءُ تَبْكِي شَجْوَهَا فَكَأنَّهَا

لها بالتّلاع القَاوِيَاتِ فقيدُ

كما استلعبتْ رأدَ الضُّحى حميريّةٌ

ضَرُوبٌ بكفَّيها الشِّرَاعَ سَمُودُ

ليالِيَ سُعْدى في الشَّبابِ الذي مضى

ونِسْوَتُها بِيضُ السَّوالفِ غيدُ

يُباشرْنَ فأرَ المِسْكِ في كُلِّ مهجَعٍ

ويُشرقُ جاديٌّ بهنَّ مفيدُ

فدَعْ عَنْكَ سَلْمَى إذْ أتَى النأيُ دُونَها

وأنتَ امرؤٌ ماضٍ -زعمتَ- جليدُ

وَسَلِّ هُمُومَ النَفسِ إنَّ عِلاَجَها

إذا المرءُ لم ينبَل بهنَّ شديدُ

بعيساءَ في دأياتِها ودُفوفِها

وحاركِها تحتَ الوليِّ نُهودُ

وفي صَدْرِهَا صَبٌّ إذا مَا تَدَافَعَتْ

وفي شعْبِ بَيْنَ المِنْكَبَيْنِ سُئُودُ

وَتَحْتَ قُتُودِ الرَّحْلِ عَنْسٌ حَرِيزَةٌ

عَلاةٌ يُباريها سَوَاهِمُ قُودُ

تراها إذا ما الرَّكبُ أصبحَ ناهلاً

ورُجّيَ ورْدُ الماءِ، وَهْوَ بَعِيدُ

تزيفُ كما زافتْ إلى سلفاتِها

مُباهِيَةٌ طَيَّ الوشاحِ مَيُودُ

إليكَ أبَا بكرٍ تَخُبّ برَاكِبٍ

على الأيْنِ فَتْلاءُ اليَدَيْنِ وَخُودُ

تَجُوزُ رُبَى الأصْرَامِ أصْرَامِ غَالِبٍ

:أقولُ ـ إذا ما قيل أين تريدُ ـ

أُريدُ أبا بكرٍ وَلَوْ حَالَ دُونَهُ

أماعزُ تغتالُ المطيَّ وبيدُ

لِتَعْلَمَ أنّي لِلْمَوَدَّةِ حَافِظٌ

وَمَا لِلْيَدِ الحُسْنَى لدَيَّ كُنودُ

وإنَّكَ عندي في النّوالِ وغيرِهِ

وفي كلِّ حالٍ ما بقيتَ حميدُ

فآلاءُ كَفٍّ مِنْكَ طَلْقٍ بَنَائُهَا

ببذلكَ إذْ في بعضهنَّ جُمودُ

وآلاءُ مَنْ قدْ حالَ بيني وبينهُ

عدىً ونقاً للسّافياتِ طريدُ

فلا تبعُدنْ تحت الضَّريحةِ أعظُمٌ

رَمِيمٌ وأثوابٌ هُنَاكَ جُرودُ

بما قد أرى عبدَ العزيزِ ونجمُهُ

إذا نلتقي طلقُ الطُّلوعِ سعودُ

لهُ مِنْ بَنيهِ مَجْلِسٌ وَبَنيهمُ

كِرَامٌ كأطْرَافِ السُّيوفِ قُعودُ

فما لامرىءٍ حيٍّ وإنْ طَالَ عُمْرُهُ

ولا للجبالِ الرّاسياتِ خلودُ

وأنت أبَا بَكْرٍ صفيّيَ بَعْدَهُ

تحنّى على ذي وُدِّهِ وتعودُ

وأنتَ امرؤٌ أُلهمتَ صدقاً ونائلاً

وأورثكَ المجدَ التليدَ جدودُ

جُدُودٌ من الكَعْبَينِ بيضٌ وُجُوهُها

لهم مأثُراتٌ مجدُهنَّ تليدُ

أنادي لجيراننا يقصدوا

أنادي لجيراننا يقصدوا

فَنَقْضي اللُّبَانَةَ أوْ نَعْهدُ

كأنَّ على كبدي قرحةً

حذاراً من البين ما تبرُدُ

لقدْ هَجَرَتْ سُعْدَى وَطالَ صُدُودُها

لَقَدْ هَجَرَتْ سُعْدَى وَطَالَ صُدُودُها

وَعَاوَدَ عَيْني دَمْعُها وَسُهُودُها

وقد أُصفيتْ سعدى طريفَ مودّتي

ودامَ على العهدِ القديمِ تليدُها

نَظَرْتُ إليها نَظْرَةً وَهْيَ عَاتِقٌ

على حِينِ أنْ شَبّتْ وَبَانَ نُهُودُها

وَقَدْ دَرَّعُوهَا وَهْيَ ذاتُ مُؤَصَّدٍ

مجوبٍ ولمّا يلبَسِ الدَّرعُ ريدُها

نظَرْتُ إليها نَظْرَةً ما يَسُرُّني

بها حمرُ أنعامِ البلادِ وسودُها

وكنتُ إذا ما زرتُ سُعدى بأرضها

أرى الأرضَ تطوى لي ويدنو بعيدُها

منَ الخَفِرَاتِ البيضِ وَدَّ جَليسُها

إذا ما انقضتْ أحدوثةٌ لوْ تُعيدُها

منعَّمةٌ لم تلقَ بُؤسَ معيشةٍ

هي الخُلدُ في الدُّنيالمن يستفيدها

هي الخُلْدُ مَا دامْت لأهلكَ جَادَةً

وهلْ دَامَ في الدّنيا لنفسٍ خُلودُها

فتلكَ التي أصفيتُها بمودَّتي

وليداً ولمّا يستبنْ لي نهُودُها

وقد قَتَلْتْ نَفْساً بِغَيْرِ جَريرَةٍ

وَلَيْسَ لها عَقْلٌ ولا مَنْ يُقيدُها

تُحَلِّلُ أحْقَادِي إذا ما لَقِيتُها

وَتَبْقَى بلا ذَنْبٍ عَلَيَّ حُقُودُها

ويعذُبُ لي من غيرها فأعافُها

مَشَاربُ فيها مَقْنَعٌ لو أُريدُها

وأمْنَحُهَا أقْصَى هَوَايَ وإنَّني

على ثقةٍ من أنَّ حظّي صدودُها

فَكَيْفَ يَوَدُّ القَلْبُ مَنْ لا يَوَدُّهُ

بلى قد تُريد النَّفْسُ مَنْ لا يُريدُها

ألا ليتَ شعري بعدنا هل تغيّرتْ

عنِ العهدِ أمْ أمستْ كعهدي عهودُها

إذا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ جُنّتْ بِذِكْرِها

وريعتْ وحنَّتْ واستخفَّ جليدُها

فلو كان ما بي بالجبالِ لهدَّها

وإنْ كانَ في الدّنيا شديداً هدودُها

ولستُ وإنْ أوعدتُ فيها بمُنتةٍ

وإن أُوْقِدَتْ نارٌ فَشُبَّ وَقُودُهَا

أبيتُ نجيّاً للهمومِ مُسهَّداً

إذا أوقدتْ نحوي بليلٍ وقودُها

فأصبحتُ ذا نفسين، نفسٍ مريضةٍ

مِنَ اليأس ما يَنْفَكُّ هَمٌّ يَعُودُها

ونفسٍ تُرجّي وصلها بعد صرمِها

تجمَّلُ كيْ يزدادَ غيظاً حسودُها

وَنَفْسي إذا ما كُنْتُ وَحْدِي تَقَطَّعتْ

كما انسَلَّ مِنْ ذاتِ النِّظامِ فَريدُها

فلمْ تبدِ لي يأساً ففي اليأس راحةٌ

ولمْ تبدِ لي جوداً فينفعَ جودُها

كذاك أذودُ النَّفْس يا عزَّ عَنْكُمُ

وَقَدْ أعْوَرَتْ أسْرَارُ مَنْ لا يَذُودُها

وَكُنْتُ امرءاً بالغَوْرِ مِنّي ضَمَانَةٌ

وَكُنْتُ امرءاً بالغَوْرِ مِنّي ضَمَانَةٌ

وأُخْرَى بنجدٍ ما تُعيدُ وَمَا تُبدي

فطوْراً أكُرُّ الطَّرْفَ نحوَ تِهَامَةٍ

وَطوْراً أكُرُّ الطرَّفَ كرّاً إلى نَجْدِ

وأبكي إذا فارقتُ هنداً صبابةً

وأبكي إذا فارقتُ دعداً على دعدِ

وَكَانَ الصِّبا خِدْنَ الشَّبَابِ فأصْبَحَا

وَقَدْ تَرَكاني في مَغَانِيهما وَحْدِي

فوالله ما أدري أطائفُ جنَّةٍ

تأوَّبَني أمْ لَمْ يَجِدْ أحدٌ وَجْدي

فَلا تَلْحَيَانِي إنْ جَزَعْتُ، فما أرى

على زَفَرَاتِ الحُبِّ مِنْ أحَدٍ جَلْدِ

تظلُّ ابنةُ الضَّمريِّ في ظلِّ نعمةٍ

تظلُّ ابنةُ الضَّمريِّ في ظلِّ نعمةٍ

إذا ما مشتْ من فوق صرح ممرَّدِ

يجيءُ بريّاها الصِّبا كلَّ ليلةٍ

وتجمعُنا الأحلامُ في كلِّ مرقدِ

ونُضحي وأثباجُ المطيِّ مقيلُنا

بجذبٍ بنا في الصَّيهدِ المتوقِّدِ

أقِيدي دَماً يا أُمَّ عمرٍو هَرَقْتِهِ

فيكفيكِ فعلُ القاتلِ المتعمِّدِ

ولَنْ يَتَعَدَّى ما بَلَغْتُمْ بِرَاكِبٍ

زورَّةَ أسفارٍ تروحُ وتغتدي

فظلَّت بأكنافِ الغُراباتِ تبتغي

مِظَنَّتَهَا واسْتَمَرَأتْ كُلَّ مُرْتدِ

وذا خُشبٍ من آخرِ الليلِ قلَّبتْ

وَتَبْغِي بِهِ ليلاً عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِ

مُنَاقِلَةً عُرْضَ الفَيَافي شِمِلَّةً

مَطِيّةَ قَدَّافٍ على الهَوْلِ مبعَدِ

فَمَرَّتْ بليلٍ وَهْيَ شَدْفَاءُ عَاصِفٌ

بمنخرقِ الدَّوداءِ مرَّ الخفيددِ

وَقَالَ خَلِيلي قَدْ وَقِعتَ بما ترى

وأبلغتَ عُذراً في البغايةِ فاقصدِ

فحتّام جوبُ البيدِ بالعيس ترتمي

تنائفَ ما بينَ البحيرِ فصرخدِ

فقلتُ لهُ لم تَقْضِ مَا عَمَدَتْ لهُ

ولم تأتِ أصراماً ببرقةِ منشَدِ

فأصبحَ يرتادً الجميمَ برابغٍ

إلى برقةِ الخرجاءِ من صحوةِ الغدِ

لعَمْري لقَدْ بَانَتْ وَشَطَّ مَزَارُها

عزيزةَ لا تفقدْ ولا تتبعَّدِ

إذا أصبحتْ في المجلسِ في أهل قريةٍ

وأصبحَ أهلي بين شطبٍ فبدبدِ

وإنّي لآتيكمْ وإنّي لراجعٌ

بغير الجوى من عندكم لم أزوَّدِ

إذا دَبَرَانٌ مِنْكِ يَوماً لقِيتُهُ

أؤمِّلُ أنْ ألقاكِ بعدُ بأسعُدِ

فإنْ تسلُ عنكِ النّفسُ أو تدعِ الهوى

فَباليأسِ تَسْلُو عَنْكِ لا بالتَّجَلُّدِ

وكلُّ خليلٍ راعَني فهو قائلٌ:

مِنْ كجْلِكِ هذا هَامَةُ اليومِ أوْ غَدِ

ولمّا رأتْ وجدي بها وتبيَّنتْ

ولمّا رأتْ وجدي بها وتبيَّنتْ

صَبَابَةَ حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَادِ

أدَلَّتْ بصبرٍ عندها وجلادةٍ

وتحسبُ أنَّ النّاسَ غيرُ جلادِ

فَيَا عَزَّ صَادِي القَلْبَ حَتَّى يَوَدَّني

فؤادُكِ أو رُدّي عليَّ فؤادي

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلى لَدُنْ أنْ عَرَفْتُها

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلى لَدُنْ أنْ عَرَفْتُها

لكالهائمِ المقصى بكلِّ مذادِ

وإنَّ الذي ينوي من المالِ أهلُها

أوارِكُ لمّا تأتلفْ وعوادي

وإني لأرَعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلالِها

وإني لأرَعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلالِها

وإنْ أظْهَرُوا غِشّاً نَصَحْتُ لهم جَهْدِي

ولوْ حاربوا قومي لكنتُ لقومِها

صَدِيقاً وَلَمْ أحْمِلْ على قَوْمِها حِقْدِي

شَجَا أظْعَانُ غَاضِرَةَ الغوادي

شَجَا أظْعَانُ غَاضِرَةَ الغوادي

بغير مشورةٍ عرضاً فؤادي

أغاضِرَ لوْ شَهِدَتِ غَدَاةَ بِنْتُمْ

جُنُوءَ العائِدَاتِ عَلى وِسَادِي

أويتِ لعاشقٍ لمْ تشكُميهِ

نَوَافِذُهُ تَلَدَّعُ بالزِّنَادِ

ويومَ الخيلِ قَدْ سَفَرَتْ وَكَفّتْ

رداءَ العصبِ عنْ رتلٍ بُرادٍ

وَعَنْ نَجْلاءَ تَدْمَعُ في بَيَاضٍ

إذا دمعتْ وتنظُر في سوادِ

وَعنْ مُتَكَاوِسٍ في العَفْصِ جَثْلٍ

أثيثِ النَّبتِ ذي عذْرٍ جِعادِ

وَغَاضِرَةُ الغَدَاةَ وإنْ نأتْنَا

وأصْبَحَ دُونَها قُطْرُ البلادِ

أحَبُّ ظعِينَةٍ، وَبَنَاتُ نَفْسي

إلَيْهَا لَوْ بَلِلْنَ بها صَوَادي

وَمِنْ دُونِ الَّذي أمَّلْتُ وُدّاً

ولوْ طالبتُها خرطُ القتادِ

وقالَ النَّاصِحُونَ تَحَلَّ مِنها

ببذلٍ قبلَ شيمتها الجمادِ

فإنَّك موشكٌ ألاّ تراها

وتعدو دونَ غاضرةَ العوادي

فقدْ وَعَدَتْكَ لَوْ أقبَلْتَ وُدّاً

فَلَجَّ بِكَ التَّدَلُّلُ في تَعَادِ

فَأسْرَرْتُ النَّدامَةَ يوْمَ نَادَى

بردِّ جِمالِ غاضرةَ المنادي

تمادى البُعدُ دونهمُ فأمستْ

دُمُوعُ العَيْنِ لجَّ بها التّمادي

لَقَدْ مُنِعَ الرُّقادُ فبِتُّ لَيْلي

تُجافيني الهُمومُ عن الوسادِ

عداني أنْ أزورَكَ غيرَ بُغضٍ

مُقامُكَ بين مُصفحةٍ شدادِ

وإنّي قَائِلٌ إنْ لَمْ أزُرْهُ

سَقَتْ دِيَمُ السَّوَاري والغَوَادِي

محلَّ أخي بني أسدٍ قنَوْنا

إلى يبةٍ إلى بركِ الغمادِ

مقيمٌ بالمجازةِ من قنَوْنا

وأهلكَ بالأجيفرِ والثَّمادِ

فلا تبعَدْ فكلُّ فتىً سيأتي

عَلَيْهِ المَوْتُ يَطْرُقُ أوْ يُغَادِي

وَكُلُّ ذَخِيرَةٍ لا بُدَّ يوْماً

ولو بقيتْ تصيرُ إلى النَّفادِ

يعزُّ عليَّ أن نغدو جميعاً

وَتُصْبحَ ثَاوِياً رَهْناً بوَادِ

فَلَوْ فُودِيتَ مِنْ حَدَثِ المَنايا

وقيتُكَ بالطريفِ وبالتِّلادِ

لَقَدْ أسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيّاً

ولكنْ لا حياةَ لمنْ تُنادي

أليْسَ أبي بالصَّلتِ أمْ لَيْسَ أسْرَتي

أليْسَ أبي بالصَّلتِ أمْ لَيْسَ أُسْرَتي

لكُلِّ هِجانٍ مِنْ بني النّضرِ أزْهرا

لبسنا ثيابَ العصبِ فاختلطَ السَّدى

بنا وبهمْ والحضرميَّ المخصَّرا

إذا ما قطعنا من قريشٍ قرابةً

بأيِّ نجادٍ تحمِلُ السَّيفَ ميسرا

أبَيْتُ التي قَدْ سُمْتَني وَنَكَرْتُهَا

ولو سُمتَها قبلي قبيصةَ أنكرا

فإنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْ بَنِي النَّضْرِ فاثْرُكُوا

أرَاكًا بأدْنَابِ الفَوَائِجِ أخْضَرَا

غشيتُ لليلى بالبَرودِ مساكناً

غشيتُ لليلى بالبَرودِ مساكناً

تَقَادَمْنَ فاستَنَّتْ عليها الأعَاصِرُ

وأوْحَشْنَ بَعْدَ الحيِّ إلاّ مَسَاكِناً

يُرينَ حديثاتٍ وهنَّ دواثرُ

وكانتْ إذا أخلتْ وأمرعَ ربعُها

يكونُ عليها من صديقكَ حاضرُ

فَقَدْ خَفَّ منها الحيُّ بَعْدَ إقَامَةٍ

فَمَا إنْ بها إلاّ الرِّياحُ العَوائِرُ

كأنْ لَم يُدَمِّنْهَا أنيسٌ وَلَمْ يَكُنْ

لها بَعْدَ أيَّامِ الهدَمْلَةِ عَامِرُ

وَلَمْ يَعْتَلِجْ في حَاضِرٍ مُتَجَاورٍ

قفا الغَضْيِ مِنْ وَادِي العُشَيرَةِ سَامِرُ

سَقَى أُمَّ كُلثُومٍ على نأي دَارِها

وَنِسْوَتَها جَوْنُ الحَيَا ثُمَّ بَاكِرُ

أحمُّ رجوفٌ مستهلٌّ ربابهُ

لهُ فِرَقٌ مُسحَنْفراتٌ صَوَادِرُ

تَصَعَّدَ في الأحْنَاءِ ذُو عَجْرَفِيَّةٍ

أحمُّ حبركى مُرجفٌ متماطرُ

وأعرضَ من ذهبانَ مُعرورفَ الذُرى

تَرَيَّعُ منهُ بالنِّطافِ الحَوَاجِرُ

أقامَ على جُمدانَ يوماً وليلةً

فجمدانُ منهُ مائلٌ متقاصرُ

وَعَرَّسَ بالسَّكْرَانِ يَوْمَيْنِ وارتَكَى

يجرُّ كما جرَّ المكيثُ المسافرُ

بذي هيدبٍ جونٍ تنجِّزُهُ الصِّبا

وتدفعهُ دفع الطَّلا وهوَ حاسرُ

وَسُيِّلَ أكنَافُ المَرَابِدِ غُدْوَةً

وسُيِّلَ منهُ ضاحكٌ والعواقرُ

ومنُه بصَخْرِ المَحْوِ وَدْقُ غمامةٍ

لهُ سَبَلٌ واقْوَرَّ مِنْهُ الغَفائِرُ

وطبَّقَ من نحوِ النَّجيل كأنّهُ

بأليَلَ لمّا خَلَّفَ النّخْلَ دَامِرُ

وَمَرَّ فأرْوَى يَنْبُعاً فَجُنُوبَهُ

وقد جِيدَ منهُ جَيْدَةٌ فَعَبَاثِرُ

لهُ شُعَبٌ مِنْها يَمَانٍ وَرَيِّقٌ

شآمٍ وَنَجْدِيٌّ وآخَرُ غَائِرُ

فلمّا دنا للأَبَتَيْنِ تَقُودُهُ

جَوافِلُ دُهْمٌ بالرَّبَابِ عَوَاجِرُ

رسا بينَ سلع والعقيق وفارع

إلى أُحُدٍ للمزن فيهِ غشامرُ

بأسْحَمَ زَحَّافٍ كَأنَّ ارتجَازَهُ

توعُّدُ أجْمَالٍ لهُنَّ قَرَاقِرُ

فأمْسى يَسُحُّ الماءَ فَوْقَ وُعَيْرَةٍ

لهُ باللِّوى والوَادِيَيْنِ حَوَائِرُ

فَأقْلَعَ عَنْ عُشٍّ وأصْبَحَ مُزْنُهُ

أفاءً وآفاقُ السَّماءِ حَواسِرُ

فكلُّ مسيلٍ من تهامةَ طيِّبٍ

تَسِيلُ بهِ مُسلنطحَاتٌ دَعَائِرُ

تُقَلِّعُ عُمْرِيَّ العِضَاهِ كأنَّها

بأجْوَازِهِ أُسْدٌ لهُنَّ تَزَاوُرُ

يُغادِرُ صَرْعَى من أرَاكٍ وَتَنْضُبٍ

وزرقاً بأثباج البحار يُغادرُ

وكلُّ مسيلٍ غارتِ الشّمسُ فوقَهُ

سَقِيُّ الثُّرَيَا بَيْنَهُ مُتجاورُ

وما أُمُّ خِشْفٍ بالعَلاَيَةِ شادِنٍ

أصاعَ لها بانٌ من المردِ ناضرُ

تَرَعّى بهِ البَرْدَيْنِ ثُمَّ مَقِيلُها

دُرَى سَلَمٍ تَأوِي إليها الجآذِرُ

بأحْسَنَ مِنْ أمّ الحُوَيرثِ سُنّةً

عَشِيَّةَ دَمْعي مُسبِلٌ مُتبادِرُ

عَفا رَابِغٌ من أهْلِهِ فالظَّوَاهِرُ

عَفَا رَابِغٌ من أهْلِهِ فالظَّوَاهِرُ

فأكنافُ هرشى قد عفتْ فالأصافرُ

مَغَانٍ يُهَيِّجْنَ الحَلِيمَ إلى الصِّبا

وَهُنَّ قَدِيمَاتُ العُهُودِ دَوَاثِرُ

لليلى وجاراتٍ لليلى كأنّها

نعاجُ الملا تُحدى بهنَّ الأباعرُ

بما قد أرى تلكَ الدِّيارَ وأهلَها

وَهُنَّ جَمِيعَاتُ الأنِيسِ عَوَامِرُ

أجَدَّكَ أنْ دَارُ الرَّبَابِ تَبَاعَدَتْ

أو انبَتَّ حَبْلٌ أنَّ قَلْبَكَ طَائِرُ

أفقْ قدْ أفاقَ العاشقون وفارقوا الـ

هَوى واسْتَمَرَّتْ بالرِّجالِ المَرَائِرُ

وهبها كشيءٍ لم يكنْ أوْ كنازحٍ

بِهِ الدَّارُ أوْ مَنْ غَيّبتْهُ المَقَابرُ

أمُنْقَطِعٌ يَا عَزَّ مَا كَانَ بَيْننا

وشاجرَني يا عزَّ فيكِ الشّواجرُ

إذا قيلَ : هذي دارُ عزَّة ، قادَني

إليها الهوى واسْتَعْجَلَتْنِي البَوَادِرُ

أصدُّ وبي مثلُ الجنونِ لكيْ يرى

رُواةُ الخنا أنّي لبيتِك هاجرُ

فَيَاعزُّ لَيْتَ النأيَ إذْ حَالَ بَيْنَنَا

وبينكِ بَاعَ الودَّ لي مِنْكِ تاجِرُ

وأنتِ التي حبَّبتِ كلَّ قصيرةٍ

إليَّ، وما يدري بذاك القصائرُ

عَنِيتُ قَصيِراتُ الحِجَّال ولَمْ أُرِدْ

قِصَارَ الخُطا شرُّ النِّسَاءِ البَحَاتِرُ

لقد زعمَتْ أنّي تغيَّرتُ بعدها

لقد زعمَتْ أنّي تغيَّرتُ بعدها

ومَنْ ذا الذي يا عزَّ لا يتغيَّرُ

تغيَّر جسمي والخليقةُ كالَّذي

عَهِدْتِ ولم يُخْبَرْ بسرِّكِ مُخبَرُ

أيادي سبا يا عَزَّ ما كنتُ بعدكُمْ

فلمْ يحْلَ للعَيْنَيْن بعدَكِ مَنظرُ

أبعدَ ابن ليلى يأملُ الخُلدِ واحدٌ

من النّاس أو يرجو الثَّراءَ مثمِّرُ

أمِنْ أمِّ عَمْرٍو بالخَريق دِيَارُ

أمِنْ أُمِّ عَمْرٍو بالخَريق دِيَارُ

نعم. دارساتٌ قد عفونَ قفارُ

وأُخرى بذي المشروح من بطن بيشةٍ

بها لمطافيل النِّعاج صوارُ

تراها وقد خفَّ الأنيسُ كأنَّها

بمندفع الخرطومتين إزارُ

فأقسمتُ لا أنساكِ ما عشتُ ليلةً

وإن شاحطتْ دارٌ وشطَّ مزارُ

أُحِبّكِ مَا دامتْ بنَجْدٍ وَشِيجةٌ

وَمَا ثَبَتَتْ أُبْلَى بِهِ وَتِعَارُ

وما استنَّ رقراقُ السَّرابِ وما جرتْ

منَ الوَحْشِ عَصْمَاءُ اليدين نَوَارُ

وما سالَ وادٍ من تهامةَ طيِّبٌ

بهِ قلْبٌ عاديَّةٌ وكِرارُ

سَقَاهَا مِنَ الجَوْزَاء والدَّلْوِ خِلْفةً

مَبَاكِيرُ لم يُنْدِبْ بهنَّ صِرَارُ

بِدُرّةِ أبكارٍ مِنَ المُزْنِ مَا لَهَا

إذا ما استَهَلَّتْ بالنّجادِ غوارُ

وفيها عَلَى أنَّ الفُؤَادَ يُحِبُّها

صدودٌ إذا لاقيتُها وذرارُ

وإني لآتيتكم على كِلَم العِدا

وأمشي وفي الممشى إليك مُشارُ

سَأَتْكَ وَقَدْ أَجَدَّ بِهَا البُكورُ

سَأَتْكَ وَقَدْ أَجَدَّ بِهَا البُكورُ

غَدَاةَ البَيْنِ مِنْ أَسْمَاءَ عِيرُ

إذا شربتْ ببيدَحَ فاستمرّتْ

ظَعَائنُها عَلَى الأَنْهَابِ زُورُ

كأنَّ حُمُولَهَا بمَلاً تَرِيمٍ

سَفِينٌ بالشُّعَيْبَةِ مَا تَسِيرُ

قوارضُ هُضبِ شابةَ عن يسارِ

وَعنْ أيْمَانِها بالمَحْوِ قُورُ

فلستَ بزائلٍ تزدادُ شوقاً

إلى أسماءَ ما سمر السَّميرُ

أتَنْسَى إذْ تُوَدِّعُ وَهْيَ بادٍ

مُقَلَّدُها كما بَرَقَ الصَّبِيرُ

ومحبسُنا لها بعُفارياتٍ

ليجمعَنا وفاطمةَ المسيرُ

ألم تسمعي أيْ عبدَ في رونق الضُّحى

ألم تسمعي أيْ عبدَ في رونق الضُّحى

بُكَاءَ حَمَامَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ

بكَيْنَ فهَيّجْنَ اشْتياقي ولَوْعَتي

وَقَدْ مَرَّ مِنْ عَهْدِ اللّقاءِ دُهُورُ

مَا بَالُ ذَا البيتِ الذي كُنْتَ آلفاً

مَا بَالُ ذَا البيتِ الذي كُنْتَ آلفاً

أنارك فيهِ بعدَ إلفكَ نائرُ

تَزُورُ بُيوتاً حَوْلَهُ ما تُحِبُّهَا

وَتَهْجُرُهُ، سَقْياً لِمَنْ أنْتَ هَاجِرُ

مُجَاورَةٌ قوماً عِدىً في صُدورِهِمْ

ألا حبّذا منْ حبِّها مَنْ تجاورُ

رأيتُ غراباً ساقطاً فوْقَ بانَةٍ

رأيتُ غراباً ساقطاً فوْقَ بانَةٍ

يُنتِّفَ أعلى ريشهِ ويُطايرُهْ

فقُلْتُ ولوْ أنّي أشاءُ زجَرْتُهُ

بنَفْسيَ للنّهْديّ هلْ أنْتَ زاجرُهْ

فقالَ غُرابٌ لاغْترابٍ من النّوى

وفي البانِ بينٌ من حبيبٍ تجاورُهْ

فما أعيْفَ النَّهْديَّ لا درَّ درُّهُ

وأزجرَهُ للطّيْرِ لا عَزَّ ناصِرُهُ

أهَاجَتْكَ سَلْمَى أمْ أجَدَّ بُكُورُهَا

أهَاجَتْكَ سَلْمَى أمْ أجَدَّ بُكُورُهَا

وَحُفّتْ بأنْطَاكيّ رَقْمٍ خُدورُها

عَلى هَاجِرَاتِ الشّوْلِ قد خَفَّ خَطْرُها

وأسلمَها للظّاعناتِ جُفورُها

قوارضُ حَضْنَيْ بَطْنِ يَنْبُعَ غُدْوَةً

قواصدُ شرقيِّ العناقين عيرُها

على حِلْةٍ كالهَضْبِ تَخْتَالُ في البُرى

فأحْمَالُهَا مَقْصُورَةٌ وَكُؤورُها

بُروكٌ بأعلى ذي البُليدِ كأنَّها

صَرِيمَةُ نَخْلٍ مُعْطِئِلٌ شَكِيرُها

مِنَ الغُلْبِ من عِضْدَانِ هَامَةَ شُرِّبَتْ

لسقيٍ وجمَّتْ للنَّواضح بيرُها

غَدَتْ أُمُّ عَمْرٍو واستَقَلَّتْ خُدُورُها

وزالتْ بأسرافٍ من الليل عيرها

تبدّت فصادته عشيَّةَ بينِها

وَمَرَّتْ عَلَى التَّقْوَى بهنَّ كأنَّها

بجيدٍ كجِيدِ الرِّئْمِ حَالٍ تَزيُنُهُ

غدائرُ مسترخي العقاص يصُورُها

تلوثُ إزارَ الخزِّ منها برملةٍ

رداحٍ كساها هائلَ التّربِ مورُها

أجدّتْ خفوفاً من جنوبِ كُتانةٍ

إلى وَجْمَةٍ لمّا اسْجَهَرَّتْ حَرُورُها

سَفَائِنُ بحرٍ طَابَ فيها مَسِيرُها

أوِ الدَّمِ من وادي غُرانَ تروَّحتْ

لهُ الرّيحُ قصْراً شَمْأَلٌ وَدَبُورُها

نظرتُ وقد حالتْ بلاكثُ دونَهمْ

وبُطنانُ وادي برمةٍ وظهورُها

إلى ظُعنٍ بالنَّعف نعفِ مياسرٍ

حَدَتْها تَواليها ومارَتْ صُدورُها

عليهنَّ لُعْسٌ مِنْ ظِبَاءِ تَبَالةٍ

مُذَبْذبةُ الخِرْصَانِ بادٍ نُحُورُها

فلمّا بلغنَ المُنتضى بين غيقةٍ

وَيَلْبَلَ مالتْ فاحزَأَلَّتْ صُدُورُها

وأتبعتُها عينيَّ حتّى رأيتُها

ألمّتْ بِفِعْرَى والقَنانِ تزُورُها

وما زلتُ أستدمي وما طرَّ شاربي

وصَالكِ حَتَّى ضَرَّ نَفْسي ضَميرُها

فإنّي وتأميلي على النّأي وصلَها

وأجبالُ تُرعى دوننا وثبيرُها

وَعَنَّ لَنَا بالجِزْع فوقَ فُرَاقِدٍ

أيادِي سَبَا كالسَّحْلِ بيضاً سُفُورُهَا

نَشِيمُ عَلى أرْضِ ابنِ لَيْلى مَخِيلَةً

عريضاً سناها مُكرَهقّاً صبيرُها

فأصبحتُ لو ألممتُ بالحوفِ شاقني

مَنَازِلُ مِنْ حُلْوَانَ وَحْشٌ قصورُها

أقُولُ إذا ما الطَّيرُ مرَّتْ مُخيفةً

سوانحُها تجري ولا أستثيرُها

فدتْكَ -ابنَ ليلى - ناقتي حدثَ الرَّدى

وراكِبُها إنْ كانَ كونٌ وكُورُها

تقولُ ابنةُ البكريِّ يومَ لقيتُها

لعمرُك والدّنيا متينٌ غرورُها

لأصْبَحْتَ هَدَّتكَ الحَوَادِثُ هَدَّةً

نَعَمْ فَشَوَاةُ الرَّأس بَادٍ قَتِيرُها

وأسلاكَ سلمى والشّبابَ الذي مضى

وَفَاةُ ابنِ ليلى إذْ أتَاكَ خَبيرُها

فإنْ تَكُ أيّامُ ابنِ ليلى سَبَقْنَنِي

وَطالتْ سِنِيَّ بَعْدَهُ وشهُورُها

فإنَّي لآتٍ قَبْرَهُ فمسلِّمٌ

وإنْ لم تُكلّمْ حُفرةٌ مَنْ يزورُها

وما صُحبتي عبدَ العزيز ومِدحتي

بعاريّةٍ يرتدُّها من يُعيرُها

شهدتُ ابنَ ليلى في مواطنَ جمَّةٍ

يزيدُ بها ذا الحلم حِلماً حُضُورها

ترى القومَ يُخفونَ التَّبسُّمَ عندَهُ

ولا كَلِمَاتُ النُّصْحِ مُقصَى مُشيرُها

فلستُ بناسيهِ وإنْ حيلَ دونهُ

وَجَالَ بأحْوَازِ الصَّحَاصِحِ مُورُها

وإن طويتْ مِن دونهِ الأرضُ وانبرى

لنُكبِ الرِّياحِ وفيُها وحفيرُها

حياتي ما دامتْ بشرقيِّ يلبَنٍ

برامٌ، وأضحتْ لم تُسيَّرْ صُخُورُها

ولكنْ صفاءُ الودِّ ما هبَّتِ الصَّبا

وما لم تَزَلْ حِسْمَى : رُبَاها وَقُورُها

وإنّي لأسْمُو بالوصَال إلى التي

وإنّي لأسْمُو بالوصَال إلى التي

يكونُ شفاءً ذكرُها وازديارُها

وإنْ خَفِيَتْ كَانتْ لعينيكَ قُرّةً

وإنْ تَبْدُ يوماً لم يَعُمَّكَ عارُها

من الخَفِرَاتِ البيض لَمْ تَرَ شَقْوَةً

وفي الحَسَبِ المَحْضِ الرَّفِيعِ نِجَارُها

فما روضةٌ بالحَزن طيّبةَ الثَّرى

يمُجُّ النَّدى جثجاثُها وعرارُها

بمنخرَقٍ من بطن وادٍ كأنّما

تلاقتْ بهِ عطّارةٌ وتجارُها

أُفِيدَ عليْها المِسْكُ حَتَّى كأنّها

لَطِيمَةُ داريٍّ تَفَتَّقَ فارُها

بأطيبَ من أردانِ عزَّةَ مَوْهناً

وقد أوقدتْ بالمندلِ الرَّطبِ نارُها

هي العيشُ ما لاقتكَ يوماً بودِّها

وموتٌ إذا لاقاكَ منها ازْوِرَارُها

وإنّي وإنْ شَطّتْ نَوَاها لحافظٌ

لها حيثُ حَلّتْ واستقرَّ قرارُها

فأقسمتُ لا أنساكِ ما عشتُ ليلة

وإنْ شحطتْ دارٌ وشطَّ مزارُها

وما استنَّ رقراقُ السّراب وما جرى

ببيضِ الرُّبى وحشيُّها ونوارُها

وَمَا هَبَّتِ الأرْوَاحُ تجري ومَا ثَوَى

مقيماً بنجدٍ عوفُها وتعارُها

وإنّي لأسْتَأني وَلَوْلا طَمَاعَتي

وإنّي لأسْتَأني وَلَوْلا طَمَاعَتي

بعزَّةَ قدْ جمَّعتُ بينَ الضّرائر

وهمُّ بناتي أنْ يبنَّ وحمَّمتْ

وُجُوهُ رجَالٍ مِنْ بنيَّ الأصاغِرِ

تلهو فتختضعُ المطيُّ أمامها

تلهو فتختضعُ المطيُّ أمامها

وَتَخِبُّ هَرْوَلَةَ الظَّلِيمِ النَّافرِ

وإذا الفَلاةُ تَعَرَّضَتْ غِيطانُها

نهضتْ بأتلعَ في الجَديلِ عراعرِ

وسجتْ دعائمُ صلبها واستعجلتْ

مِنْ وَقْعِهِنَّ بصَائِبٍ مُتَبَادِرِ

تعدو النَّجاءَ بخيطفٍ مأطورةٍ

ويدٍ لها نَسَجَتْ بضَبْعٍ مَائرِ

وإذا المطيُّ تحدَّرتْ أعطافهُ

نَضَحَ الكَحِيلُ بهِ كَجوفِ القَاطِرِ

وَكَسَا مَعَاطِسَها اللُّغامُ ولُفّعَتْ

فيهِ حواجبُ عينِها بغفائرِ

زَهِمُ المَشَاشِ من النَّواشِطِ باللّوى

أو بالجنابِ رأينَ أسهمَ عائرِ

ألا تلكَ عزَّةُ قد أصبحتْ

ألا تلكَ عزَّةُ قد أصبحتْ

تُقلّبُ للهجرِ طرفاً غضيضا

تَقُولُ مَرِضْنا فَمَا عُدْتَنَا

فقلتُ لها: لا أُطيقُ النُّهوضا

كِلانا مَريضَانِ في بَلْدَةٍ

وكيفَ يعودُ مريضٌ مريضا؟

وَكَانَ الخَلاَئِفُ بَعْدَ الرَّسول

وَكَانَ الخَلاَئِفُ بَعْدَ الرَّسول

لِ للهِ كُلُّهمُ تابعا

شَهيدان مِنْ بَعْدِ صِدّيقِهِمْ

وكان ابنُ خَوْلى لهمْ رابعا

وكانَ ابنُهُ بعدهُ خامساً

مُطيعاً لمَنْ قَبْلَهُ سَامِعا

ومروانُ سادسُ مَنْ قد قضى

وكانَ ابنُهُ بعدهُ سابعا

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلاَّمَةَ الوَصْلُ أجمَعُ

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلاَّمَةَ الوَصْلُ أجمَعُ

أخيراً، على أنْ لم يكنْ يتقطَّعُ

وأصْبَحْتُ قَدْ وَدَّعْتُ ظَلاَّمَةَ الَّتي

تضرُّ، وما كانتْ مع الضُّرِّ تنفعُ

وقد شبَّ من أترابِ ظلاّمةَ الدُّمى

غَرَائِرُ أبْكَارٌ لِعَيْنَيْكَ مَقْنَعُ

كَأنَّ أُناساً لمْ يَحُلّوا بتَلْعةٍ

فيُمسوا ومغناهُمْ مِنَ الدّارِ بلقعُ

ويمرُرْ عليها فرطُ عامين قد خلتْ

وَلِلْوَحْشِ فيها مُسْتَرَادٌ وَمَرْتَعُ

إذا مَا عَلَتْهَا الشَّمْسُ ظَلَّ حَمَامُها

على مُستقلاَّتِ الغَضَا يَتَفَجَّعُ

ومنها بأجزاعِ المقاريبِ دمنةٌ

وَبالسَّفْحِ مِنْ قُرْعَانَ آلٌ مُصرَّعٌ

مَغَانِي دِيَارٍ لا تَزَالُ كَأَنَّها

بأفنيةِ الشُّطّانِ رَيْطٌ مُضَلَّعُ

وفي رسمِ دارٍ بينَ شوطانَ قد خلتْ

ومرَّ بها عامانِ عينُك تدمعُ

إذا قيلَ: مهلاً بعضَ وجدكَ، لاتُشدْ

بسرِّكَ، لا يُسمَعْ حديثٌ فيُرفعُ

أتتْ عبراتٌ من سجومٍ كأنَّهُ

غَمَامَةُ دَجْنٍ إسْتَهَلَّ فيُقْلِعُ

وأُخْرَى حَبَسْتَ الركبَ يوم سُوَيْقَةٍ

بها واقفاً أن هاجَكَ المُتربَّعُ

لِعَيْنِكَ تِلْكَ العِيرُ حَتَّى تغَيّبَتْ

وحتى أتى مِنْ دُونها الخُبُّ أجْمَعُ

وحتَّى أجَازَتْ بَطْنَ ضَاسٍ وَدُونَهَا

رِعَانٌ فَهَضْبا ذِي النُّجَيْلِ فَيَنْبُعُ

وأعرضَ من رضوى من الليلِ دونها

هضابٌ تردُّ العينَ ممّنْ يُشَيَّعُ

إذا أتْبَعَتْهُمْ طَرْفَها حَالَ دُونَهَا

رَدَادٌ على إنْسَانِها يتريّعُ

فإن يكُ جثماني بأرض سواكُمُ

فإنَّ فؤادي عِندَكَ الدَّهْرَ أجْمَعُ

إذا قُلْتُ هذا حِينَ أسْلُو ذكَرْتُها

فَظلَّتْ لَهَا نَفْسي تَتُوقُ وَتَنْزَعُ

وَقَدْ قَرَعَ الوَاشُونَ فيها لَكَ العَصَا

وإنّ العصا كانت لذي الحلم تُقرعُ

وَكُنْتُ أَلُومُ الجَازِعِينَ عَلى البُكَا

فَكَيْفَ أَلُومُ الجازعينَ وأجْزَعُ

وَلِي كَبِدٌ قَدْ بَرَّحَتْ بي مريضةٌ

إذا سمتُها الهجرانَ ظلَّتْ تصدَّعُ

فأصْبَحْتُ ممَّا أحْدَثَ الدَّهْرُ خَاشِعاً

وَكُنْتُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَخَشَّعُ

وعروةُ لم يلقَ الذي قد لقيتُهُ

بعفراءَ، والنَّهديُّ، ما أتفجَّعُ

وقائلةٍ دع وصلَ عزّةَ واتّبعْ

مَوَدَّةَ أُخرى وابْلُهَا كَيْفَ تَصْنعُ

أرَاكَ عليها في المَوَدَّةِ زَارِياً

وَمَا نِلْتَ مِنْهَا طَائِلاً حَيْثُ تَسْمَعُ

فَقُلْتُ ذَريني بِئْسَ مَا قُلْتِ إنَّني

على البُخل منها لا على الجودِ أتبعُ

وأعجَبَني يا عَزَّ مِنكِ خَلائِقٌ

كرامٌ ، إذا عُدَّ الخلائقُ، أربعُ

ذُنُوُّكِ حَتَّى يَذْكُرَ الجَاهِلُ الصِّبَا

ودفعُكِ أسباب المنى حينَ يطمعُ

فواللهِ ما يدري كريمٌ مطلّتِهِ

أيشتدُّ أنْ لاقاكِ أمْ يتضرَّعُ؟

وَمِنْهُنَّ إكْرَام الكَرِيم وَهَفْوَةُ الـ

اللئيم،وخلاّتُ المكارم تنفعُ

بَخَلْتِ فكَانَ البُخْلُ مِنْكِ سَجِيةً

فَلَيْتَكِ ذو لونين يُعْطِي وَيَمْنعُ

وإنّك إنْ واصَلْتِ أعْلَمْتِ بالّذِي

لديكِ فلَمْ يوجَدْ لكِ الدَّهْرَ مُطمعُ

فيا قلبِ كنْ عنها صبوراً فإنَّها

يُشيِّعُها بالصَّبر قلبٌ مُشَيَّعُ

وإنّي عَلى ذاكَ التَجَلُّدِ إنّني

مُسِرٌّ هُيَامٍ يَسْتَبِلُّ ويُرْدَعُ

أتَى دُونَ مَا تَخْشَوْنَ مِنْ بَثّ سِرّكُمْ

أخُو ثِقَةٍ سهْلُ الخَلائِق أروعُ

ضنينٌ ببذل السِّرِّ سمحٌ بغيرِهِ

أخو ثِقَةٍ عَفُّ الوصَال سَمَيْدَعُ

أبى أنْ يبُثَّ الدهرَ ما عاش سرَّكم

سَلِيماً وما دَامَتْ لَهُ الشّمْسُ تطلعُ

وإني لأسْتَهدي السَّحَائِبَ نَحْوَها

مِنَ المَنْزِلِ الأدْنَى فتَسْرِي وَتُسْرِعُ

إذا أمسيتُ بطنُ مجاحَ دوني

إذا أمسيتُ بطنُ مجاحَ دوني

وعمقٌ دون عزّةَ فالنَّقيعُ

فليسَ بلائمي أحدٌ يُصلّي

إذا أخذتْ مجاريها الدُّموعُ

خَلِيلَيَّ عُوجَا مِنْكُما سَاعةً مَعِي

خَلِيلَيَّ عُوجَا مِنْكُما سَاعةً مَعِي

عَلَى الرَّبْعِ نَقْضِ حَاجَةً وَنُوَدِّعِ

وَلاَ تَعْجَلاني أنْ أُلِمَّ بدِمْنَةٍ

لعزَّةَ لاحتْ لي ببيداءَ بلقعِ

وقولا لقلبٍ قدْ سلا راجع الهوى

وَلِلْعَيْنِ أدْرِي مِنْ دُموعِكِ أوْ دَعِي

فلا عيشَ إلاّ مثلُ عيشٍ مضى لنا

مصيفاً أقمنا فيهِ من بعدِ مربعِ

تفرَّقَ ٱلأَفُ الحَجِيجِ على مِنًى

وشتّتَهُمْ شَحْطُ النَّوَى مَشْتيَ أرْبَعِ

فلمْ أرَ داراً مثلها دارَ غبطةٍ

وملقىً إذا التفَّ الحجيجُ بمجمعِ

أقَلَّ مُقِيماً رَاضِياً بمَكَانِهِ

وأكْثَرَ جاراً ظَاعِناً لَمْ يُوَدَّعِ

فأصْبَحَ لا تَلْقَى خِباءً عَهِدْتَهُ

بمضربِهِ أوتادُهُ لم تُنزَّعِ

فشاقوكَ لمّا وجّهوا كلَّ وجهةٍ

سراعاً وخلّوا عنْ منازلَ بلقع

فريقان: منهمْ سالكٌ بطنَ نخلةٍ

وآخرُ منهمْ جازعٌ ظهر تضرُع

كأنَّ حُمُولَ الحيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا

صَرِيمةُ نخلٍ أو صَرِيمةُ إيدَع

فإنّك عمري هل رأيتَ ظعائناً

غَدَونَ افْتِرَاقاً بالخليطِ المودَّع

ركبنَ اتّضاعاً فوق كلِّ عُذافرٍ

من العيسِ نضّاحِ المعدَّينِ مربعِ

تُوَاهِقُ واحْتَثَّ الحُدَاةُ بِطَاءَهَا

على لاحبٍ يعلو الصياهبَ مهيَع

جَعَلْنَ أرَاخيَّ البُحيرِ مَكَانهُ

إلى كُلِّ قَرٍّ مُسْتطِيلٍ مُقَنَّع

وفيهنَّ أشباهُ المها رعتِ الملا

نَوَاعِمُ بيضٌ في الهوى غيرُ خُرَّع

رَمَتْكَ ابنةُ الضَّمريِّ عزَّةُ بعْدما

أمَتَّ الصّبى مِمَّا تَرِيشُ بأقطع

تغاطشُ شكوانا إليها ولا تعي

مع البخلِ أحناءَ الحديثِ المُرجَّع

لَعَمْري لقَدْ رُعتُم غداةَ سُوَيقةٍ

لَعَمْري لَقَدْ رُعتُم غداةَ سُوَيقةٍ

ببينكُمُ يا عزَّ حقَّ جزوع

ومرَّتْ سراعاً عيرُها وكأنَّها

دوافعُ بالكريَون ذاتُ قلوع

وَحَاجَةِ نَفْسٍ قَدْ قَضَيْتُ وَحَاجَةٍ

تركتُ، وأمرٍ قد أصبتُ بديع

وماءٍ كأنَّ اليَثْرَبيَّةَ أنْصَلَتْ

بأعقارهِ دفعَ الإزاءِ نزوع

وصادفتُ عيّالاً كأنَّ عواءهُ

بُكا مجردٍ يبغي المبيتَ خليع

عوى ناشزَ الحيزوم مضطمرَ الحشا

يُعالجُ ليلاً قارساً معَ جوع

فَصَوَّتَ إذ نادى بباقٍ على الطَّوى

محنَّبِ أطرافِ العظامِ هبوع

فَلَمْ يَجْتَرِسْ إلاّ مُعرَّسَ راكبٍ

تأيّا قليلاً واسترى بقطيع

وموقعَ حرجوجٍ على ثفناتها

صبورٍ على عدوى المُناخ جموع

وَمطْرَحَ أثْنَاءِ الزِّمَامِ كأنَّهُ

مَزَاحِفُ أيْمٍ بالفِنَاءِ صَرِيع

بَكَى سائِبٌ لمّا رأى رَمْلَ عَالِجٍ

بَكَى سائِبٌ لمّا رأى رَمْلَ عَالِجٍ

أتى دُونَهُ والهَضْبُ هَضْبُ مُتَالِعِ

بَكى أنَّهُ سَهْوُ الدُّمُوعِ كما بكى

عَشِيّةَ جَاوَزْنا نَجَادَ البَدائِعِ

أوَدُّ لَكُمْ خَيْراً وَتطَّرِحُونَنِي

أكَعْبَ بنَ عمرٍو لاخْتِلافِ الصَّنَائِعِ

وكيفَ لَكُمْ صَدْرِي سَلِيمٌ وأنتُمُ

على حسكِ الشَّحناءِ حنوُ الأضالعِ

أُحَاذِرُ أن تَلْقَوْا رَدىً وَمَطِيّكُمْ

خَوَاضِعُ تَبْغِيني حِمَامَ المَصَارِعِ

عَلى كُلِّ حَالٍ قَدْ بَلَوْتُمْ خَلِيقَتي

على الفَقْرِ مِنّي والغِنَى المُتَتَابِعِ

غَنِيتُ فَلَمْ أرْدُدْكُمُ عِنْدَ بُغيةٍ

وجُعتُ فلم أكددكمُ بالأصابعِ

إذا قلَّ مالي زادَ عرضي كرامةً

عَليَّ وَلَمْ أتْبَعْ دَقِيقَ المَطَامِعِ

وإنّي لَمُسْتَأْنٍ وَمُنْتَظِرٌ بِكُمْ

على هَفَوَاتٍ فيكُمُ وَتَتَايُعِ

وَبَعْضُ المَوَالِي تُتّقى دَرَاءَتُهُ

كما تتَّقى روسُ الأفاعي الأضالعِ

ومحترشٍ ضبُّ العداوةِ منهمُ

بحلوِ الخلا حرشَ الضِّبابِ الخوادعِ

غدتْ منْ خصوصِ الطَّفِّ ثمَّ تمرَّستْ

غدتْ منْ خصوصِ الطَّفِّ ثمَّ تمرَّستْ

بجنبِ الرَّحا من يومها وهوَ عاصفُ

ومرَّتْ بقاعِ الرَّوضتين وطرفها

إلى الشَّرفِ الأعلى بها متشارفُ

فما زالَ إسآدي على الأينِ والسُّرى

بحزَّةَ حتّى أسْلمْتَهَا العَجَارفُ

تنيلُ قليلاً في تناءٍ وهجرةٍ

تنيلُ قليلاً في تناءٍ وهجرةٍ

كما مسَّ ظهرَ الحيّةِ المتخوِّفُ

منعَّمةٌ أمّا ملاثُ نطاقها

فجلٌّ وأما الخصر منها فأهيفُ

فَذَرْنِي وَلَكِنْ شَاقَنِي متغرّداً

أغرُّ الذُّرى صاتُ العشيّاتِ أوطفُ

خفيٌّ تعشّى في البحارِ ودونهُ

من اللّجِّ خُضْرٌ مُظْلِمَاتٌ وَسُدَّفُ

فما زالَ يستشري وما زلتُ ناصباً

لهُ بصري حتّى غدا يتعجرفُ

من البحرِ حمحامٌ صراحٌ غمامُهُ

إذا حَنَّ فيه رعدُهُ يتكشّفُ

إذا حَنَّ فيه الرَّعْدُ عَجَّ وأرْزمَتْ

لهُ عُوَّدٌ مِنها مَطَافِيلُ عُكَّفُ

تربَّعُ أولاهُ على حجراتِهِ

جميعاً، وأخراهُ تنوبُ وتُردفُ

إذا استدبرتهُ الرّيحُ كيْ تستخفَّهُ

تراجنَ ملحاحٌ إلى المكثِ مرجفُ

ثقيلُ الرَّحى واهي الكفاف دنا لهُ

ببيضِ الرُّبى ذو هيدبٍ متعصِّفُ

رَسَا بغُرانٍ واستدَارَتْ بهِ الرَّحى

كما يستديرُ الزّاحف المتقيِّفُ

فَذَاكَ سقى أُمَّ الحُوَيْرِثِ مَاءَهُ

بحيثُ انتوتْ واهي الأسرَّةِ مرزفُ

وَبَيْتٍ بِمَوْمَاةٍ مِنَ الأرْضِ مجهلٍ

كظلِّ العقابِ تستقلُّ وتخطُفُ

بَنَيْتُ لِفِتْيَانٍ فَظَلَّ، عمادُهُ

بِداويةٍ قَفْرٍ وَشِيجٌ مُثَقَّفُ

ونحنُ منعنا بين مرٍّ ورابعٍ

من النّاسِ أنْ يغزى وأن يتكنَّفُ

إذا سلفٌ منّا مضى لسبيلهِ

حمى عذراتِ الحيِّ منْ يتخلَّفُ

لا تَكْفُرَنْ قَوْماً عَزَزْتَ بِعِزِّهِمْ

لا تَكْفُرَنْ قَوْماً عَزَزْتَ بِعِزِّهِمْ

أبا علقمٍ! والكفرُ بالرّيق مشرقُ

أبا خُبَثٍ أكْرِمْ كِنَانَةَ إنَّهُمْ

مَوالِيكَ إنْ أمْرٌ سَما بِكَ مُعْلِقُ

بنو النَّضْرِ تَرْمي مِنْ وَرَائِكَ بالحَصَى

أولو حسبٍ فيهم وفاءٌ ومصدقُ

يَفِيدُونَكَ المَالَ الكَثِيرَ وَلَمْ تَجِدْ

لمُلْكِهِمُ شَبْهاً لَوَ كنَّكَ تَصْدُقُ

إذا ركبوا ثارتْ عليكَ عجاجةٌ

وفي الأرض من وقع الأسنّةِ أولقُ

أشَاقَكَ بَرْقٌ آخِرَ اللَّيْلِ خَافِقُ

أشَاقَكَ بَرْقٌ آخِرَ اللَّيْلِ خَافِقُ

جرى منْ سناهُ بينةٌ فالأبارقُ

بكيّاً لصوتِ الرعدِ خرسٌ روائعٌ

وَنَعْقٍ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ صَوَاعِقُ

قَعَدْتُ لَهُ حَتَّى عَلاَ الأفْقَ مَاؤُهُ

وسالَ بفعمِ الوبلِ منه الذَّوافقُ

يُرَشِّحُ نبتاً نَاعِماً ويزِينُهُ

ندىً ولِيالٍ بعدَ ذاكَ طوالقُ

وَكَيْفَ تُرَجِّيَها وَمِنْ دُونِ أرْضِهَا

جبالُ الرُّبا تلكَ الطِّوالُ البواسقُ؟

حَوَاجِرُهَا العُليا وأرْكَانُها التي

بها من مَغَافِيرِ العِنَازِ أفَارِقُ

وأنتِ المُنى يَا أُمَّ عَمرٍو لو كنّنا

نَنَالُكِ أوْ تُدْني نَوَاكِ الصَّفَائِقُ

لأصْبَحْتُ خِلْواً من هُمُومٍ وَمَا سَرَتْ

عليَّ خيالاتُ الحبيبِ الطَّوارقُ

بذِي زَهَرٍ غَضٍّ كأنَّ تِلاعَهُ

ـ إذا أشْرَفَتْ حجراتهنَّ ـ النَّمارقُ

إذا خرجتْ من بيتها راقَ عينها

معوَّذهُ ، وأعجبتها العقائقُ

حلفتُ بربِّ الموضعينَ عشيَّةً

وغيطانُ فلجٍ دونهمْ والشّقائقُ

يَحُثُّونَ صُبْحَ الحُمْرِ خُوصاً كأنَّها

بنخلةَ من دونِ الوجيفِ المطارقُ

سراعٌ إذا الحادي زقاهنَّ زقيةً

جَنَحْنَ كما استُلّتْ سُيُوفٌ ذوالِقُ

إذا قرّطوهنَّ الأزمَّةَ وارتدوا

أبَيْنَ فَلَمْ يَقْدِرْ عليهنَّ سابقُ

إذا عزم الرَّكبُ الرّحيلَ وأشرفت

لهنَّ الفيافي والفجاجُ الفياهقُ

على كُلِّ حُرْجُوجٍ كأنَّ شَلِيلَها

رُواقٌ، إذا ما هجَّر الرَّكبُ، خافقُ

لقد لَقِيَتْنَا أمُّ عمروٍ بصادِقٍ

من الصَّرمِ، أو ضاقتْ عليهِ الخلائقُ

سوى ذكرةٍ منها إذا الرّكبُ عرّسوا

وَهَبّتْ عَصَافِيرُ الصّريمِ النّواطقُ

ألمْ تسألي يا أمَّ عمرٍو فتُخبَري

سلمتِ، وأسقاكِ السَّحابُ البوارقُ

ألممْ بعزَّة إنَّ الرَّكبَ منطلقُ

ألممْ بعزَّة إنَّ الرَّكبَ منطلقُ

وإنْ نأتكَ ولم يلممْ بها خرقُ

قَامَتْ تَرَاءَى لَنَا والعَيْنُ سَاجِيَةٌ

كأنَّ إنسانَها في لجَّةٍ غرقُ

ثمَّ استدارَ على أرجاءِ مقلتِها

مُبادراً خَلَسَاتِ الطَّرْفِ يَسْتَبِقُ

كأنَّهُ حِينَ مَارَ المأقيَانِ بِهِ

دُرٌّ تَحَلَّلَ مِنْ أسْلاَكِهِ نَسَقُ

وَلِلْعَبِيرِ عَلَى أصْدَغِهَا عَبَقٌ

كَأَنَّهُ بِجَنُوبِ المِحْجَرِ العَلَقُ

تأرَّجَ الحيُّ إذْ مَرَّتْ بظُعْنِهِمُ

ليلى ، ونمَّ عليها العنبرُ العبقُ

تنيلُ نزراً قليلاً وهي مشفقةٌ

كما يَهَابُ نَشِيشَ الحيّةِ الفَرِقُ

أقْوَى وأقْفَرَ مِنْ مَاوِيَّةَ البُرَقُ

أقْوَى وأقْفَرَ مِنْ مَاوِيَّةَ البُرَقُ

فذو مراخ فقفرُ العلق فالحرقُ

فآكُمُ النَّعْفِ وَحْشٌ لا أنيس بِهَا

إلاّ القطا فتلاعُ النَّبعةِ العمُقُ

وقلنَ، وقدْ يكذبن، فيك تعيُّفٌ

وقلنَ، وقدْ يكذبن، فيك تعيُّفٌ

وشؤمٌ، إذا ما لم تطعْ صاحَ ناعقُهْ

فأعييتنا لا راضياً بكرامةٍ

ولا تاركاً شكوى الذي أنتَ صادقُهْ

وأدركتَ صفوَ الودِّ منّا فلمتنا

وَلَيْسَ لَنَا ذنْبٌ فَنَحْنُ مَواذِقُهْ

وألفيتنا سلماً فصدَّعتَ بيننا

كما صدَّعتْ بينَ الأديمِ خوالقُهْ

يُرجِّعُ في حيزومهِ غيرَ باغمٍ

يَراعاً من الأحْشَاءِ جُوفاً هنابقُهْ

إذا مَا رَمَى قصْدَ المَلاَ لحِقَتْ بهِ

عَلاةٌ كمِرْداةِ القِذَافِ تُرَاشِقُهْ

يُجرِّرُ سِرْبالاً عَلَيْهِ كأنَّهُ

سَبيُّ هِلاَلٍ لم تُخرَّقْ شَرَانِقُهْ

إذا المرءُ لم يبذلْ من الودِّ مثلما

بذلتُ لهُ فاعلمْ بأنّي مفارقُهْ

ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ متكارهٍ

عَلَيْكَ ولا في صَاحِبٍ لا توافِقُهْ

إذا المالُ لم يوجبْ عليك عطاءهُ

صَنيعةُ قُرْبَى أوْ صَدِيقٌ توامقُهْ

منعتَ وبعضُ المنعِ حزمٌ وقوَّةٌ

فلَمْ يفتلدْكَ المَالَ إلاَّ حقائِقُهْ

إذا ما أفادَ المالُ أودى بفضلهِ

حقوقٌ، فكرهُ العاذلاتِ يوافقُهْ

ويرفعُ نَصْلَ السَّيفِ عَنْ كَعْبِ ساقِهِ

ولو أطولَ القينُ الحمائلَ، عاتقُهْ

فَبُورِكَ ما أعْطى ابنُ ليلى بنِيَّةٍ

وَصَامِتُ ما أعطى ابن ليلى وناطقُهْ

أصَادرَةٌ حُجَّاجَ كَعْبٍ وَمَالِكٍ

أصَادرَةٌ حُجَّاجَ كَعْبٍ وَمَالِكٍ

على كُلِّ عَجْلَى ضَامِرِ البطنِ مُحْنِقِ

بمرثيةٍ فيها ثناءٌ محبَّرٌ

لأزْهَرَ مِن أولادِ مُرَّةَ مُعْرِقِ

كأنَّ أخاهُ في النّوائبِ ملجأٌ

إلى علمٍ من ركنِ قدسِ المنطَّقِ

يَنَالُ رِجالاً نَفْعُهُ وَهْوَ مِنْهُمُ

بعيدٌ كعيّوقِ الثريّا المعلَّقِ

تقولُ ابنةُ الضَّمريِّ : ما لك شاحباً

وَلَوْنُكَ مُصْفَرٌّ وإنْ لم تَخَلّقِ

فقلتُ لها: لا تعجبي، من يمُتْ لهُ

أخٌ كأبي بدرٍ، وجدِّكِ يشفقِ

وأمْرٍ يُهِمُّ النَّاسَ غِبُّ نِتَاجِهِ

كَفَيْتَ وَكَرْبٍ بالدَّواهي مُطرِّق

كَشَفْتَ أبا بَدْرٍ إذا القَوْمُ أحْجَمُوا

وعَضَّتْ مَلاقي أمْرِهِمْ بالمُخَنَّق

وخصمٍ -أبا بدرٍ- ألدَّ أبَتَّهُ

على مثلِ طعمِ الحنظلِ المتفلِّق

جَزَى الله خيْراً خِنْدِقاً مِن مكافىء

وصاحبِ صدقٍ ذي حفاظٍ ومصدق

أقام قناةَ الودِّ بيني وبينهُ

وَفَارَقني عَنْ شِيمَةٍ لَمْ تُرَنَّق

حَلَفْتُ على أنْ قَدْ أجَنّتْكَ حُفْرَةٌ

ببَطْنِ قَنَوْنَا لَوْ نَعِيشُ فَنَلْتقي

لألفيتني بالوُدِّ بعدكَ دائماً

على عهدنا إذْ نحنُ لم نتفرّق

إذا ما غَدا يَهْتَزُّ للمَجْدِ والنَّدَى

أشَمُّ كغُصنِ البانةِ المتورِّق

وإنّي لجارٍ بالذي كانَ بيننا

بَني أسدٍ رَهْطَ ابْنِ مُرَّةَ خِنْدِق

ولولا حبَّكمْ لتضاعفتني

ولولا حبَّكمْ لتضاعفتني

هَضِيمُ الكَشْحِ طيِّعةُ العِنَاق

كأنَّ مغارزَ الأنيابِ منها

إذا مَا الصُّبْحُ نَوَّرَ لاثْفِلاق

صليتُ غمامةٍ بجناة نحلٍ

صَفَاةِ اللَّوْنِ طيّبَةِ المَذاق

مقيلي كلُّ هاجرةٍ صخودٍ

عَلى هَوْجَاءَ لاحِقَةِ الصِّفَاق

قضيتُ لبانتي وصرمتُ أمري

وعدَّيتُ المطيَّةَ في بُساق

وكم قد جاوزتْ نقضي إليكمْ

من الحزز الأماعز والبراق

هلالَ عشيّةٍ لشفا غروبٍ

تسرَّرَ ليلةً بعدَ المُحاق

إذا ضَمْرِيّةٌ عَطسَتْ فَنِكّها

فإنَّ عُطاسَها طرَفُ الودَاق

صَدِيقُكَ حينَ تَسْتَغْني كَثيرٌ

صَدِيقُكَ حينَ تَسْتَغْني كَثيرٌ

وما لكَ عند فقركَ منْ صديق

فلا تنكِرْ على أحدٍ إذا ما

طَوَى عَنْكَ الزِّيَارَةَ عندَ ضيق

وكنتُ إذا الصَّديقُ أراد غيظي

على حَنَقٍ وأشْرَقتِي بريقي

غفرتُ ذنوبهُ وصفحتُ عنهُ

مخافةَ أن أكونَ بلا صديق

شَجَا قَلْبَهُ أظْهانُ سُعْدى السَّوَالِكُ

شَجَا قَلْبَهُ أظْهانُ سُعْدى السَّوَالِكُ

وأجْمَالُها يَوْمَ البُلَيدِ الرَّوَاتِكُ

أقُولُ وَقَدْ جَاوَزْنَ أعْلامَ ذي دَمٍ

وذي وجمى أوْ دونهنَّ الدَّوانكُ

تَأمّلْ كَذَا هَلْ تَرْعوِي وكأنّما

مَوَائِجُ شِيزَى أمْرَحَتْهَا الدَّوامكُ

وَهَلْ تَرَيِنّي بَعْدَ أنْ تُنْزَعَ البُرَى

وقد أبنَ أنضاءً وهنَّ زواحكُ

وردنَ بُصاقاً بعد عشرينَ ليلةً

وهنَّ كليلاتُ العيون ركائكُ

فأبْنَ وَما مِنْهنَّ مِنْ ذاتِ نجْدةٍ

ولو بلغتْ إلاّ تُرى وهي زاحِكُ

نَفَى السَّيْرُ عَنْها كُلَّ دَاءٍ إقامةٍ

فَهُنَّ رَدَايَا بالطَّريق تَرَائِكُ

وحُمِّلتِ الحاجاتِ خوصاً كأنَّها

وقد ضمرتْ صفرُ القسيِّ العواتِكُ

وَمَفْرُبَةٌ دُهمٌ وَكُمْتٌ كأنَّها

طماطمُ يُوفونَ الوُفورَ هنادكُ

كأنَّ عَدَوْلِيّاً زُهَاءَ حُمُولها

غَدَتْ تَرْتَمي الدَّهنا بها والدَّهالكُ

وَفَوْقَ جِمَال الحيِّ بيضٌ كأنَّها

على الرَّقم آرامُ الأثيلِ الأوارِكُ

ظباءُ خريفٍ خشَّتِ السِّدرَ خضَّعٌ

ثَنَى سِرْبَها أطْفَالُهُنَّ العوالكُ

فَمَا زِلْتُ أُبقِي الظَّعْنَ حتَّى كأنَّها

أواقي سدىً تغتالهنَّ الحوائكُ

فإنَّ شِفائي نَظْرَةٌ إنْ نَظَرْتُها

إلى ثَافِلٍ يوْماً وَخَلْفي شنائِكُ

وإنْ بدتِ الخيماتُ من بطنِ أرثدٍ

لنا وفيافي المَرْختين الدَّكادِكُ

تجنَّبتَ ليلى عنوةً أنْ تزورَها

وأنتَ امرؤٌ في أهلِ وُدِّكَ تاركُ

أقولُ إذا الحَيّان كَعْبٌ وعامِرٌ

تلاقوا ولفَّتنا هناك المناسكُ

جَزى الله حيّاً بالموَقَّرِ نَضْرَةً

وَجَادَتْ عَلَيْهِ الرَّائحاتُ الهواتكُ

بكُلّ حثيثِ الوَبْلِ زَهْرٍ غَمَامُهُ

لهُ درٌّ بالقسطليْنِ حواشِكُ

كما قَدْ عَمَمْتَ المؤمِنِينَ بنائلٍ

أبا خالد صَلّتْ عليكَ الملائكُ

وما يكُ منّي قد أتاكَ فإنّهُ

عتابٌ أبا مروانَ والقلبُ سادِكُ

سقى دمنتين لم نجدْ لهما مثلا

سقى دمنتين لم نجدْ لهما مثلا

بحَقْلٍ لَكُمْ يا عَزَّ قَدْ زَانتا حقلا

نجاءُ الثريّا كلَّ آخرِ ليلةٍ

يجودُهُما جوداً ويُتبعُه وبلا

إذا شطحتْ دارٌ لعزَّةَ لم أجدْ

لها في الأُولى يَلْحَيْنَ في وَصْلِهَا مِثلا

فَيَا لَيْتَ شِعْري والحَوَادِثُ جَمّةٌ

مَتَى تَجْمَعُ الأيّامُ يوماً بها شَمَلا

وَكَيْفَ يَنَالُ الحَاجِيّةَ آلفٌ

بيليلَ ممساهُ وقد جاوزتْ نخلا؟

فَيَا عَزَّ إنْ وَاشٍ وَشَى بيَ عندكُمْ

فلا تُكْرِمِيهِ أنْ تَقُولِي لَهُ أهْلا

كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بوَدّكِ عِنْدنا

لَقُلنا تَزَحْزَحْ لا قريباً ولا سَهْلا

فَأهْلاً وَسَهْلاً بالذي شَدَّ وصْلنا

ولا مرْحباً بالقَائِلِ كصرْمٍ لها حبلا

ألمْ يأنِ لي يا قلبُ أن أترك الجهلا

وأن يُحدِثَ الشّيبُ المُلِيمُ لِيَ العَقْلا

على حِين صَارَ الرَّأسُ مِنّي كأنّما

عَلَتْ فوْقهُ نَدّافَةُ العَطْبِ الغَزْلا

ونحنُ منعنا منْ تهامةَ كلّها

جنوبَ نقا الخوّارِ فالدَّمثَ السَّهلا

بِكُلِّ كُمَيْتٍ مُجفَرِ الدَّفِّ سابحٍ

وكلِّ مزاقٍ وردةٍ تعلِكُ النِّكلا

غوامضُ كالعقبانِ إنْ هي أُرسِلتْ

وإنْ أمسِكَتْ عن غربها نقلتْ نقلا

عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ كالمَخارِيقِ كُلُّهُمْ

يُعَدُّ كريماً لا جباناً ولا وغلا

بأيديهمُ خطِّيَّةٌ وعليهمُ

سوابغُ فرعونيّةٌ جُدِلتْ جدْلا

ترانا ذوي عزٍّ ويزعُمُ غيرُنا

من كعْدَائِنَا أنْ لا يَرَوْنَ لنا مِثْلا

نحاربُ أقوماً فنسبي نساءَهمْ

ونُصفدُهمْ أسراً ونوجعُهمْ قتلا

وَيَضْرِبُ رَيْعَانَ الكَتِيبَةِ صَفُّنَا

إذا أقْبَلَتْ حَتَّى نُطرِّفَها رَعْلا

وأثْبتُهُ دَاراً على الخَوْفِ ثَمْلُها

فروعُ عوالي الغاب أكرمْ بها ثمْلا

وأبْعَدُهُ سَمْعاً وأطْيَبُهُ نَثْاً

وأعظمُهُ حلماً وأبعَدُه جهلا

وأقولهُ للضّيف أهلاً ومرحباً

وآمَنُهُ جَاراً وأوْسَعُهُ جَبْلا

فِسَائِلْ بِقَوْمِي كُلَّ أجْرَدَ سابحٍ

وَسَلْ غَنَماً رُبّي بضَمْرَةَ أوْ سَخْلا

سَوَاءٌ كأسْنَانِ الحمارِ فَلا تَرَى

لذي كبرةٍ منهمْ على ناشئٍ فضلا

وَمَا حَسَبَتْ ضَمْرِيّةٌ جَدويّةٌ

سوى التّيْس ذي القرنَين أنَّ لها بعلا

فأبْلِغْ ليَ الدَّفراءَ والجَهْلُ كاسْمِهِ

وَمَنْ يغوِ لا يَعْدَمْ على غِيِّهِ عَذْلا

يا أيُّها المتمنّي أن يكونَ فتىً

يا أيُّها المتمنّي أن يكونَ فتىً

مِثْلَ ابن ليلى لقَدْ خَلَّى لكَ السُّبُلا

أعدُدْ ثلاثَ خلالٍ قد جمعنَ لهُ

هلْ سبَّ من أحدٍ أوْ سُبَّ أوْ بخِلا؟

تَوَهَّمْتُ بالخَيْفِ رَسْماً مُحِيلا

تَوَهَّمْتُ بالخَيْفِ رَسْماً مُحِيلا

لعزَّة تعرفُ منهُ الطُّلولا

تبدَّلَ بالحيِّ صوتَ الصَّدى

ونوحَ الحمامة تدعو هديلا

متى أرِيَنَّ كما قد أرى

لعزَّةَ بالمحوِ يوماً حمولا؟

بقَاعِ النَّقِيعِ فَحِصْنِ الحِمَى

يُباهِينَ بالرَّقْمِ غَيْماً مُخِيلا

أنَحْنَ القُرُونَ فغَلَّلْنَها

كعقلِ العَسيفِ غَرَابِيبَ مِيلا

كأنّي أكُفُّ وَقَدْ أمْعَنَتْ

بها مِنْ سُمَيْحَةَ غَرْباً سَجيلا

وَمَا أُمُّ خِشْفٍ تَرَعّى بهِ

أرَاكاً عَميماً وَدَوحاً ظَلِيلا

وإنْ هِيَ قامَتْ فَمَا أثْلَةٌ

بعَلْيا تُناوِحُ ريحاً أصيلا

بأحْسَنَ مِنْهَا، وإنْ أدبرَتْ

فإرْخٌ بجُبّةَ تَقْرو خَمِيلا

وَتَمْشِي الهُوَيْنا إذا أقْبَلَتْ

كما بهَر الجزعُ سيلاً ثقيلا

فَطوراً يَسِيلُ عَلى قَصْدِهِ

وَطَوْراً يُرَاجِعُ كي لا يسيلا

كَمَا مَالَ أبْيَضُ دُو نَشْوَةٍ

تصرخدَ باكرَ كأساً شمولا

فإنْ شِئْتَ قُلْتَ لَهُ صادقاً

وجدتُكَ بالقُفِّ ضبّاً جحولا

من اللاءِ يحفرن تحتَ الكُدى

ولا يَبْتَغِينَ الدِّماثَ السُّهولا

وجرَّبتَ صدقيَ عند الحفاظِ

ولكن تعاشيتَ أو كنتَ فيلا

خليليّ إنْ أمُّ الحكيم تحمَّلتْ

خليليّ إنْ أمُّ الحكيم تحمَّلتْ

وأخلتْ لخيماتِ العذيبِ ظلالَها

فلا تسقياني من تِهامةَ بعدها

بلالاً وإنْ صوبُ الرّبيع أسالها

وكنتمْ تزينونَ البلاط ففارقتْ

عشِيّةَ بثْتُمْ زَيْنَهَا وَجمَالَهَا

وقد أصبحَ الرّاضونَ إذْ أنتمُ بها

مَسُوسُ البلادِ يَشتكونَ وبالَها

فَقَدْ أصْبَحَتْ شتّى تبثُّكَ ما بها

ولا الأرض ما يشكو إليك احتلالَها

إذا شَاء أبْكَتْهُ مَنَازِلُ قد خَلَتْ

لعزَّةَ يوماً أو مناسبُ قالها

فهلْ يُصبحنْ يا عزُّ من قد قتلتِهِ

من الهمِّ خلواً نفسُهُ لا هوىً لها

وما أنسَ م الأشياءِ لا أنسَ ردّها

غَدَاةَ الشَّبَا أجْمَالَهَا واحتمالَها

وقدْ لقَّنا في أوَّلِ الدَّهر نعمةٌ

فعشنا زماناً آمنين انفتالَها

كآلفةٍ إلفاً إذا صَدَّ وجْهَةً

سوى وجههِ حنَّتْ فارعوى لها

فلستُ بناسيها ولستُ بتاركٍ

إذا أعرضَ الأدْمُ الجوازي سؤالها

أأدركُ من أمِّ الحُكيِّمِ غبطةً

بها خبَّرتني الطَّيرُ أمْ قدْ أنى لها

أقُولُ إذا ما الطَّيرُ مرتْ سَحِيقةً

لَعَلَّكَ يوماً ـ فانتَظِرْ ـ أنْ تَنَالَها

فإن تكُ في مصرٍ بدارِ إقامةٍ

مجاورةً في السَّاكِنِينَ رِمَالَها

ستأتيك بالرُّكبانِ خوصٌ عوامدٌ

يُعَارِضْنَ مُبْراةً شَدَدْتُ حبالَها

عليهنَّ مُعْتَمُّونَ قد وجّهوا لها

صحابتهُم حتَّى تَجدَّ وصالَها

متى أخشَ عدْوَى الدَّارِ بيني وبينها

أصلْ بنواصي النّاجياتِ حبالَها

على ظَهرِ عاديّ تَلوحُ مُتُونُهُ

إذا العِيسُ عَالَتْهُ اسْبَطَرَّتْ فَعَالَها

وَحَافِيَةٍ مَنْكُوبَةٍ قَدْ وقيتُها

بنعلي ولم أعقدْ عليها قِبالَها

لهنَّ منَ النعلِ التي قَدْ حذَوْتُها

من الحقِّ لو دافعتُها مثلُ ما لها

إذا هَبَطَتْ وَعْثاً من الخطِّ دَافَعَتْ

عليها رَذَايا قَدح كَلْكَلْنَ كلالَها

إذا رَحَلَتْ منها قَلوصٌ تبغَّمتْ

تَبَغُّمَ أُمِّ الخِشفِ تبغي غَزَالَها

تَذكَّرْتُ أنَّ النَّفسَ لم تَسْلُ عَنكُمُ

ولم تقضِ منْ حبّي أُمَيّةَ بالهَا

وأنّى بذي دورانَ تلقى بك النّوى

على بردى تظعانَها فاحتمالُها

أصاريمَ حلّتْ منهمُ سفحَ راهطٍ

فأكنافَ تُبنى مرجَها فتِلالُها

كأنَّ القيانَ الغُرَّ وسطَ بيوتِهمْ

نعاجٌ بجوٍّ منْ رُماحٍ خلا لها

لهمْ أنديةٌ بالعشيِّ وبالضُّحى

بَهاليلُ يرْجُو الرَّاغبونَ نوالها

كأنَّهمُ قصراً مصابيحُ راهبٍ

بموزنَ روّى بالسَّليط ذُبالها

يجوسونَ عرضَ العبقريّةِ نحوَها

تمسُّ الحواشي أوْ تُلمُّ نَعالها

هُمُ أهْلُ ألواحِ السّريرِ وَيُمنَةٌ

قَرابينُ أرْدافاً لها وشِمَالها

يُحيّون بُهلولاً بهِ ردَّ ربُّهُ

إلى عبدِ شمسٍ عزَّها وجمالَها

مَسَائِحُ فَوْدَيْ رأسِهِ مُسْبَغِلَّةٌ

جرى مسكُ دارينَ الأحمُّ خلالَها

أحاطتْ يداهُ بالخلافة بعدَما

أرادَ رجالٌ آخرونَ اغتيالَها

فما تَرَكُوهَا عَنْوَةً عَنْ موَدَّةٍ

ولكنْ بحَدِّ المَشْرفيّ اسْتقالها

هو المرءُ يجزي بالمودّة أهلَها

وَيَحْدُو بِنَعْلِ المُستَثِيبِ قِبَالَها

بلوهُ فأعطوهُ المقادة بعدما

أدبَّ البلادَ سهلَها وجبالَها

مقانبَ خيلٍ ما تزالُ مُظلّةً

عليهمْ فملُّوا كلَّ يومٍ قتالَها

دوافعَ بالرَّوحاء طوراً وتارةً

مَخَارمَ رَضْوى مرجَها فَرمَالَها

يُقيِّلنَ بالبزْواءِ والجيْشُ واقِفٌ

مزادَ الرَّوايا يصطببنَ فضالَها

وقد قابلتْ منها ثرىً مستجيزةً

مَباضعَ في وَجْهِ الضُّحَى فتُعَالَها

يعاندنَ في الأرسانِ أجوازَ بُرزةٍ

عتاقَ المطايا مُسنفاتٍ حبالَها

فغادرن عسبَ الوالقيِّ وناصحٍ

تَخُصُّ بهِ أمُّ الطّريقِ عِيَالَها

على كلّ خِنْذِيذِ الضُّحَى مُتمطِّرٍ

وخيْفانةٍ قَدْ هَدَّبَ الجَرْيُ آلَها

وخيْلٍ بعاناتٍ فسِنّ سُمَيْرةٍ

له لا يرُدُّ الدّائدونَ نهالَها

إذا قيل خيلَ الله! يوماً ألا اركبي

رَضِيتَ بكفّ الأردُنيّ انسِحَالَها

إذا عرضتْ شهباءُ خطّارةُ القنا

تُريكَ السُّيُوفَ هزَّها واستلالها

رَميتَ بأبْنَاءِ العُقيميّةِ الوَغَى

يؤمّون مشيَ المُشبلاتِ ظلالَها

كأنَّهُمُ آسادُ حَلْيَةَ أصْبَحَتْ

خَوَادِرَ تحمي الخيلَ ممّن دَنا لها

إذا أخذوا أدراعهُمْ فتسربلوا

مُقَلَّصَ مَسْرُوداتِها وَمُذالها

رأيتَ المَنَايَا شَارِعَاتٍ فَلاَ تكنْ

لها سنناً نصباً وخلَّ مجالَها

وحربٍ إذا الأعداءُ أنشتْ حياضَها

وقلَّبَ أمراسُ السَّواني محالَها

وردْتَ على قُرّاطهمْ فدهَمتَهُمْ

بأخطارِ موتٍ يلتهمنَ سِجالها

وَقَارِيَةٍ أحْوَاضَ مجدِك دونَها

ذياداً يُبيلُ الحاضناتِ سِخالَها

وشهباءَ تردي بالسَّلوقيِّ فوقَها

سنا بارقاتٍ تكرهُ العينَ خالَها

قصدتَ لها حتّى إذا ما لقيتها

ضَرَبتَ ببُصْرِيّ الصَّفِيحِ قَذَالَها

وكُنتَ إذا نابتك يوماً مُلمَّةٌ

نبلْتَ لها -أبا الوليدِ- نبالَها

سموتَ فأدركتَ العلاءَ وإنَّما

يُلقّى عليّاتِ العُلا مَنْ سَما لها

وَصُلْتَ فَنَالتْ كفُّكَ المجدَ كلّهُ

ولم تبلُغ الأيدي السّوامي مصالَها

على ابن أبي العاصي دِلاصٌ حصينةٌ

أجادَ المُسدّي سردَهَا وأذالَها

يؤودُ ضعيفَ القوم حملُ قتيرها

ويستضلعُ الطِّرفُ الأشمُّ احتمالَها

وسوْدَاء مِطْراقٍ إلى آمِنِ الصَّفا

أبيٍّ إذا الحاوي دنا فصدا لَها

كففتُ يداً عنها وأرضيتُ سمعَها

من القول حتّى صدَّقتْ ما وعى لها

وأشعرتُها نفثاً بليغاً فلوْ ترى

وقد جُعلتْ أنْ تُرعيَ النّفثَ بالها

تسلّلتُها من حيثُ أدْركها الرُّقى

إلى الكفِّ لمّا سالمتْ وانسِلالَها

وإني امرؤٌ قَدْ كُنْتُ أحسَنْتُ مرَّةً

وللمرءِ آلاءٌ عليَّ استطالَها

فأُقسِمُ ما مِنْ خُلَّةٍ قد خَبرْتُهَا

من النّاسِ إلاّ قد فضلْتَ خلالَها

وَمَا ظنّةٌ في جنبكَ اليومَ منهمُ

أُزَنُّ بها إلاّ اضطلعتُ احتِمالَها

وكانوا ذوي نُعْمَى فَقَدْ حَالَ دُونَهَا

ذوو أنعمٍ فيما مَضَى فاستَحَالَها

فلا تَكْفُرُوا مروانَ آلاءَ أهلِهِ

بني عبد شمسٍ واشكروهُ فعَالها

أبُوكمْ تَلاَفى قُبّةَ المُلْكِ بعدما

هوى سمكُها وغيّرَ النّاسُ حالَها

إذا النَّاسُ سامُوها حَيَاةً زهيدةً

هي القتلُ والقتلُ الذي لا شوى لَها

أبَى الله للشُّمِّ الألاءِ كأنّهُم

سيوفٌ أجادَ القينُ يوماً صقالَها

فللهِ عينا مَنْ رأى مِنْ عصابةٍ

تُناضِلُ عَنْ أحْسَابِ قومٍ نضالَها

وإنَّ أميرَ المؤمنين هو الذي

غزا كامناتِ النُّصح منّي فنالَها

وإنّي مدلٌّ أدَّعي أنَّ صُحبةً

وأسبابَ عَهْدٍ لَمْ أُقَطّعْ وصالَها

فلا تجعلنّي في الأمور كَعُصْبَةٍ

تبرَّأتُ منها إذْ رأيتُ ضلالَها

عدوٍّ ولا أخرى صديقٍ ونُصحها

ضعيفٌ، وبَثُّ الحقّ لمّا بدا لها

تبلّجَ لمّا جئتُ واخضرَّ عُودُهُ

وبلَّ وسيلاتي إليهِ بلالَها

لقَدْ أزْمَعَتْ لِلْبَيْنِ هِنْدٌ زيَالَهَا

لَقَدْ أزْمَعَتْ لِلْبَيْنِ هِنْدٌ زِيَالَهَا

وَزَمُّوا إلى أرْضِ العِرَاقِ جِمَالَها

فَما ظَبْيَةٌ أدْمَاءُ واضِحَةُ القَرَا

تنُضُّ إلى بردِ الظِّلالِ غزالُها

تَحُتُّ بقَرْنيها بَرِيرَ أرَاكَةٍ

وَتَعْطُو بِظِلْفَيها إذا الغُصْنُ طَالها

بأحْسَنَ مِنْها مُقلَةً وَمُقَلَّداً

وجيداً إذا دانتْ تنُوطُ شِكالُها

بأبي وأمّي أنتِ من مظلومةٍ

بأبي وأمّي أنتِ من مظلومةٍ

طبنَ العدوُّ لها فغيّرَ حالَها

لو أنَّ عَزَّةَ خَاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى

في الحسن عند موفَّقٍ لقضى لها

وسعى إليَّ بصرم عزّة نسوةٌ

جعلَ المليكُ خُدودَهنَّ نَعالَها

أللشَّوْق لمَّا هيّجَتْكَ المَنَازلُ

أللشَّوْق لمَّا هيّجَتْكَ المَنَازلُ

بحيثُ التقتْ من بينتين الغياطلُ

تَذَكَّرْتَ فانهَلّتْ لِعَيْنِكَ عَبْرَةٌ

يَجُودُ بهَا جَارٍ من الدَّمْع وابلُ

ليالِيَ منْ عيشٍ لهونا بوجهِهِ

زَماناً وسُعدى لي صَدِيقٌ مواصِلُ

فدعْ عَنْكَ سُعْدى إنما تُسعفُ النّوى

قِرانَ الثّريّا مرَّةً ثمَّ تافِلُ

إليكَ ابنَ لَيْلى تَمْتَطِي العيسُ صُحْبَتي

تَرَامَى بنا مِن مَبْرَكَينِ المَنَافِلُ

تَخَلّلُ أحْوَازَ الخُبيبِ كأنّها

قطاً قاربٌ أعدادَ حُلوانَ ناهلُ

ومُسنِفَةٌ فضلَ الزِّمام إذا انتحى

بهزّةِ هاديها على السَّومِ بازلُ

تَلَغَّبَها دُونَ ابنِ لَيْلى وَشَفَّها

سُهَادُ السُّرَى والسّبْسَبُ المُتماحلُ

دِلاثُ العتيق ما وضعتُ زمامَهُ

مُنيفٌ بهِ الهادي إذا احتُثَّ ذاملُ

وأنت -ابنَ ليلى - خيرُ قومِك مشهداً

إذا ما احْمأرَّتْ بالعَبيطِ العَوَامِلُ

جميلُ المُحيّا أبلجُ الوجهِ واضحٌ

حليمٌ إذا ما زلزلتهُ الزّلازلُ

بِنَفْحَةِ عُرْفٍ عاجلٍ فهو زائلُ

عَفارٌ وَمَرْخٌ حَثَّهُ الورْيُ عاجِلُ

فمَنْ يَنْبُ عَنّي نَبْوَةَ البخلِ أو يُرِدْ

لمعروفِهِ صَرْفاً فإنَّكَ باذلُ

أُديرتْ حمالاتُ المكارم كُلُّها

عليكَ فلم تبخُل ففضلُك شاملُ

وأنتَ أبو ضيفين: ضيفٌ نَفَعْتَهُ

وآخرُ يَرْجُو منكَ مَا نَالَ قَبْلَهُ

أخوهُ الذي جهَّزتَهُ فهو نازلُ

جَمَعْتَ خِلالاً كلُّ مَنْ نال مثلها

لحمْل الصِّقال المُضلعاتِ حمائلُ

رحُبتَ بها سرباً فأجزأتَ كُلَّها

بحفظٍ فلم يفدحكَ ما أنتَ حاملُ

وفيكَ ابنَ ليلى عِزَّةٌ وبَسَالةٌ

وغربٌ وموزونٌ من الحِلم ثاقلُ

أبَأتَ الذي وُلّيتَ حَتَّى رأبتَهُ

وأنتَ لذي القُربى وذي الودِّ واصِلُ

وإنكَ تأبى الضَّيمَ في كُلِّ مَوْطِنٍ

قديماً، وأنتَ الشيظميُّ الحُلاحلُ

بغاكُمْ رجالٌ عند كلِّ مُلمَّةٍ

معينٌ عليكُمْ ما استطاع وخاذلُ

فَما زلتُمُ بالنَّاس حَتَّى كأنَّهُمْ

منَ الخوفِ طيرٌ أخذأتْها الأجادِلُ

طِعَانٌ يَفُضُّ الجُدْلَ عن آنُفِ الشَّبا

وضربٌ ببيضٍ أخلصتها الصَّياقلُ

لوَامعَ يَخطفنَ النُّفوس كأنّها

مَصَابيحُ شَبَّتْ أو بروقٌ عواملُ

إذا بلّت الخِرصانِ صاحَتْ كُعُوبُها

فلم تبقَ إلاّ المازياتُ الدَّوابلُ

وإلاّ يُعقني الموتُ والموتُ غالبٌ

له شَرَكٌ مَبْثُوثَةٌ وحبائلُ

أُحَبِّرْ لهُ قولاً تَنَاشَدُ شعرَهُ

إذا ماالتقَتْ بينَ الجبالِ القبائلُ

وتصدُرُ شتّى من مصبٍّ ومُصعَدٍ

إذا ما خَلَتْ مِمَّنْ يحلُّ المنازلُ

يُغنّي بهَا الرُّكّبانُ من آلِ يَحصُبٍ

وبصرى وترويهِ تميمٌ ووائلُ

وألاّ يَلي وُدّي ولا حسنَ مِدحتي

دنيٌّ ولا ذو وصمةٍ متضائلُ

عفا ميثُ كُلفى بعدنا فالأجاولُ

عفا ميثُ كُلفى بعدنا فالأجاولُ

فأثمادُ حسنى فالبراقُ القوابلُ

كأنْ لم تكنْ سُعدى بأحناء غيقةٍ

ولَمْ تُرَ مِنْ سُعْدَى بهنَّ مَنَازِلُ

ولم تتربَّعْ بالسُّريرِ ولم يَكُنْ

لها الصَّيفُ خَيْماتُ العُذيبِ الظَّلاَئِلُ

أبى الصَّبرَ عن سُعدى هوىً ذو علاقةٍ

ووجدٌ بِسُعْدَى شَارَكَ القَلْبَ قَاتِلُ

تَصُدُّ فلا تُرْمَى إذا الشَّخْص فَاتَهَا

وَتَرْمي إذا ما أمْكَنَتْها المَقَاتِلُ

متى أسلُ عن سُعدى يهجني لذكرها

حمائمُ أو أطلالُ دارٍ مواثلُ

أضرَّت بها الأنْوَاءُ والرّيحُ والنَّدَى

خفيَّةُ مِنْهُ مألفٌ فالغياطِلُ

ووالله ما أدري ولو صُبَّ قُربُها

إلى النَّفس ماذا الله في القُرْبِ فَاعلُ

فَدَعْ عَنْكَ ما لا تَسْتَطِيعُ طِلاَبَهُ

وَمَنْ لكَ عنه لو تفكّرْتَ شاغلُ

إلى طيِّب الأثوابِ قد أُلهم التُّقى

هجانُ البنينَ يعتريهِ المُعاقلُ

وَهُوبٌ، بأعْنَاق المئينَ عَطاؤهُ

غلوبٌ على الأمر الذي هوَ فاعلُ

إذا قَالَ إنّي فَاعِلٌ تمَّ قولُهُ

فأمضى مواعيدَ الذي هوَ قائلُ

أُريدُ أبا مروانَ إنّي رأيْتُهُ

كريماً وتنميهِ الفروعُ الأطاولُ

طويلُ القميص لا يُذَمُّ جنابُهُ

نبيلٌ إذا نيطتْ عليهِ الحمائلُ

أمينٌ مُقرُّ الصَّدرِ يسبقُ قولُهُ

بِفِعْلٍ، فيأبى أنْ يُخيَّبَ آملُ

ولا هُوَ مَسْبُوقٌ بشيءٍ أرادَهُ

ولا هو مُلهيهِ عن الحقِّ باطلُ

بنى لكَ أشرافَ المعالي وسورَها

ـ بنا كُلِّ بنيانٍ لها متضائلُ ـ

أبٌ لكَ راضَ الملكَ حتَّى أذلّهُ

وحتّى اطمأنّتْ بالرِّجال الزّلازلُ

وأنْتَ أبُو شِبلَيْنِ شاكٍ سِلاحُهُ

لَهُ بِجَنُوبِ القَادِسِيّةِ ِ فالشَّرَى

مواطنُ لا يمشي بهنَّ الأراجلُ

يرى أنَّ أحدانَ الرِّجال غفيرةٌ

ويَقْدُمُ وَسْطَ الجمع والجمعُ حافلُ

أمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّسْمَ أنتَ مُسَائِلُ

أمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّسْمَ أنتَ مُسَائِلُ

نَعَمْ والمغاني قد دَرَسْنَ مواثلُ

فظلْتَ بها تُغضي على حدِّ عبرةٍ

كأنَّكَ من تجريبكَ الدَّهرَ جاهلُ

وغيَّرَ آياتٍ ببُرق رواوةٍ

تنائي الليالي والمدى المتطاولُ

وقد كانَ ما فيهِ لذي اللُبَّ عبرةٌ

ورأيٌّ لذي رأيٍّ فَهَلْ أنْتَ عَاقِلُ

تذكَّرُ إخواناً مضوا فتتابعوا

وشيبٌ علا منكَ المفارقَ شاملُ

غَوَادٍ من الأشراط وَطْفٌ تُقِلُّهَا

روائحُ أنواءِ الثُّريّا الهواطلُ

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزَّ أوْ كَادَ يَدْهَلُ

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزَّ أوْ كَادَ يَدْهَلُ

وأضحى يُريدُ الصَّرمَ أو يتبدَّلُ

أيادي سَبَا يا عَزَّ ما كُنْتُ بعْدَكُمْ

فلمْ يَحْلَ للعَيْنَيْن بعدكِ مَنْزِلُ

وَخَبّرَها الوَاشُونَ أنّي صَرَمْتُها

وحمَّلها غيظاً عليَّ المُحمِّلُ

وإنّ لمنقادٌ لها اليومَ بالرّضى

وَمُعْتَذِرٌ مِنْ سُخْطِها مُتنصِّلُ

أهِيمُ بأكْنَافِ المُجَمَّرِ مِن مِنًى

إلى أمِّ عمروٍ إنني لموكَّلُ

إذا ذكَرَتْهَا النَّفْسُ ظَلَّتْ كأنَّما

عليها من الوَرْدِ النّهاميِّ أفْكَلُ

وَفَاضَتْ دُمُوعُ العَينِ حَتَّى كأنَّما

بوَادِي القِرَى مِنْ يَابِس الثّغْرِ تُكحَلُ

إذا قُلْتُ أسْلُو غَارَتِ العينُ بالبُكا

غِرَاءً ومدَّتْها مَدَامِعُ حُفَّلُ

إذا ما أرادتْ خلَّةٌ أن تُزيلنا

أبينا وقلنا الحاجبيّةُ أوّلُ

سنُوليكِ عُرفاً إنْ أردتِ وصالَنا

ونحنُ لتلكَ الحاجبيّةِ أوصلُ

لها مهلٌ لا يُستطاع دراكُهُ

وسابقَةٌ في الحُبِّ ما تتحوَّلُ

تَرَامَى بنَا مِنْهَا بحَزْنٍ شَرَاوَةٍ

مفوِّزةً أيدٍ إليكَ وأرجُلُ

كأنَّ وفارَ القومِ تحت رحالِها

إذا حسِرَتْ عنها العمائمُ عُنصُلُ

يَزُرْنَ أميرَ المؤمِنِينَ وَعِنْدَهُ

لذي المدْح شكرٌ والصَّنيعةِ محمَلُ

لهُ شيمتانِ منهُما أُنسيّةٌ

وَوَحْشِيَّةٌ إغراقُها النَّهْيَ مُعْجَلُ

فراعهما منهُ فإنَّهُما لهُ

وإنَّهُما منهُ نجاةٌ ومحفَلُ

وأنتَ المُعَلّى يومَ لُقّتْ قِدَاحُهُمْ

وَجَالَ المَنِيحُ وَسْطَها يتقلقلُ

وَمِثْلُكَ مِن طُلاَبهَا خَلَصَتْ له

وَقَارُكَ مرضيٌّ وَرَبْعُكَ جحفلُ

نهيتَ الأُلى راموا الخِلافَةَ مِنْهُمُ

بضربِ الطُّلى والطَّعنِ حتّى تنكّلوا

وأنكرتَ أنْ ماروكَ في مُستنيرةٍ

لكمْ حقُّها والحقُّ لا يتبدَّلُ

أبوكُم تلافى يومَ نقْعاءَ رَاهِطٍ

بَني عبدِ شَمْسٍ وهيْ تُنْفى وتُقتلُ

إذا النَّاسُ سامُوكُمْ من الأمْرِ خُطَّةً

لها خَمْطَةٌ فيها السِّمامُ المُثَمَّلُ

أبَى الله للشُّمّ الأنُوفِ كأنّهُمْ

صوارمُ يجلوها بمؤتةَ صيقلُ

وقلتُ لها يا عزَّ أرسلَ صاحبي

وقلتُ لها يا عزَّ أرسلَ صاحبي

على نأي دَارٍ والرَّسُولُ مُوَكَّلُ

بأن تجعلي بيني وبينكِ موعداً

وأنْ تأمُريني بالذي فيها أفعلُ

وآخرُ عهدٍ منكِ يوم لقيتني

بأسْفَلِ وَادِي الدَّوْمِ والثوْبُ يُغسلُ

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بَعْدَ الهجْرِ وانْصَرَفَتْ

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بَعْدَ الهجْرِ وانْصَرَفَتْ

فحيٍّ ويحكَ من حيّاكَ يا جَمَلُ

لو كنتَ حيَّيتها ما زلتَ ذا مقةٍ

عندِي ولا مَسَّكَ الإدْلاَجُ والعملُ

فَحَنَّ مِنْ وَلَهٍ إذ قُلْتُ ذَاكَ لَهُ

وظلَّ معتذراً قدْ شفَّهُ الخجلُ

وودَّ من جزَعٍ ما كنتُ أعرفُها

ورامَ تكليمَها لو تنطقُ الأبلُ

ليتَ التَّحِيَّةَ كَانَتْ لي فأشْكُرَهَا

مكانَ يا جمَلٌ حُيِّيتَ يا رجُلُ

أهَاجَكَ منْ سُعْدى الغَداةَ طُلُولُ

أهَاجَكَ منْ سُعْدى الغَداةَ طُلُولُ

بذي الطَّلح عَامِيٌّ بها وَمُحِيلُ

وَمَا هَاجَهُ مِنْ مَنْزِلٍ لَعِبَتْ بِهِ

لِعَوْجَاءِ مِرقال العَشِيّ ذُيُولُ

بما قد ترى سُعدى بهِ وكأنَّها

طلىً راشحٌ للسّارحاتِ خذولُ

رأيْتُ وعيني قرَّبَتْني لِمَا أرَى

إليها وَبَعْضُ العَاشِقِينَ قَتُولُ

عيوناً جلاها الكُحلُ أمّا ضميرُها

فَعَفٌّ وأمّا طَرْفها فجَهُولُ

وركبٍ كأطرافِ الأسنّة عرّسوا

قلائصَ في أصلابهنَّ نُحولُ

إليكَ أبا بكر تروحُ وتغتدي

برَحْلِيَ مِرْدَاةُ الرّوَاح ذَميلُ

كثيرٌ عطاءُ الفَاعِلِينَ مَعَ الغِنَى

بجود إن كاثروك قليلُ

وإنّي لأُثري أن أراكمْ بغبطةٍ

وإنّي أبا بكرٍ - بكمْ لجميلُ

وإن أكُ قصراً في الرِّجال فإنّني

إذا حَلَّ أمْرٌ سَاحَتِي لطَويلُ

أَلَمْ تَرْبَعْ فَتُخْبرَكَ الطُّلُولُ

أَلَمْ تَرْبَعْ فَتُخْبرَكَ الطُّلُولُ

ببينةَ رسمُها رسمٌ مَحيلُ

تحمَّلَ أهلُها وجرى عليها

رياحُ الصَّيفِ والسَّربُ الهطولُ

تحنُّ بها الدَّبورُ إذا أربَّتْ

كما حَنَّتْ مُوَلَّهَةٌ عَجُولُ

تَعَلّقَ ناشئاً من حُبِّ سَلْمَى

هوىً سكنَ الفؤادَ فما يزولُ

سبتني إذْ شبابي لم يُعصَّبْ

وإذ لا يستبلُّ لها فتيلُ

فلم يملْ مودَّتَها غلاماً

وقد ينسى ويطّرفُ الملولُ

فأدْرَكَكَ المَشِيبُ على هَوَاهَا

فلا شيبٌ نهاكَ ولا دُهولُ

تَصِيدُ ولا تُصادُ وَمَنْ أصابتْ

فلاً قَوَداً، وليس به حميلُ

هجانُ اللونِ واضحةُ المُحيّا

قطيعُ الصّوتِ آنسةٌ كسولُ

وتبسِمُ عَنْ أغرَّ لهُ غُروبٌ

فراتِ الرّيق ليسَ لهُ فلولُ

كأنَّ صبيبَ غاديةٍ بلَصبٍ

تشَجُّ بهِ شآميةٌ شمولُ

على فيها إذا الجوزاءُ كانتْ

مُحَلّقَةً وأرْدَفَهَا رَعِيلُ

فدعْ ليلى فقد بَخُلتْ وَصَدَّتْ

وصدَّعَ بين شعبينا الفُلولُ

وأحْكِمْ كُلَّ قافِيةٍ جَديدٍ

تُخَيّرُهَا غرائبَ ما تقُولُ

لأبيضَ ماجدٍ تُهدي ثَنَاهُ

إليهِ والثَّناءُ لهُ قليلُ

أبي مروانَ لا تعدِلَ سواهُ

بهِ أحداً وأينَ بهِ عديلُ

بطاحِيٌّ لهُ نَسَبٌ مُصفّى

وأخلاقٌ لها عرضُ وطولُ

فقدْ طلبَ المكارمَ فاحتواها

أغرُّ كأنَّهُ سَيْفٌ صقيلُ

تجنَّبَ كلَّ فاحشةٍ وعيبٍ

وصافى الحمدَ فهو لهُ خليلُ

إذا السَّبعونَ لم تُسكتْ وليداً

وأصبح في كباركِها الفُحولُ

وكان القطرُ أجلاباً وَصِرّاً

تحُثُّ بهِ شآميةٌ بليلُ

فإنَّ بكفّهِ ما دَامَ حيّاً

من المعروف أوديةً تسيلُ

تقولُ حليلتي لمّا رأتني

أرقتُ وضافني همٌّ دخيلُ

كأنَّكَ قد بدا لك بعد مُكثٍ

وطول إقامةٍ فينا رحيلُ

فَقُلْتُ أجَلْ، فَبَعْضَ اللَّوْمِ إنّي

قَدِيماً لا يلائِمُنِي العذولُ

وأبيضَ يَنْعَسُ السَّرْحَانُ فيه

كأنَّ بَيَاضَهُ رَيْطٌ غَسِيلُ

خدتْ فيهِ برَحلي ذاتُ لوثٍ

منَ العيديِّ ناجيةٌ ذمولُ

سلوكٌ حينَ تشتبهُ الفيافي

وَيُخْطِىءُ قَصْدَ وجْهَتِهِ الدَّلِيلُ

إذا فضَلتْ نِسعتيها

وأصبحَ ضفرُها قلِقاً يجولُ

على قَرْوَاءَ قَدْ ضَمَرَتْ ففيها،

ولمْ تبلُغ سليقتُها ذبولُ

طوتْ طيَّ الرِّداءِ الخرقَ حتّى

تقاربَ بُعدُهُ سُرُحٌ نصولُ

من الكُتمِ الحوافظِ لا سَقوطٌ

إذا سَقَطَ المَطِيُّ ولا سؤولُ

تَكَادُ تطيرُ إفراطاً وَسَغْباً

إذا زُجرَتْ وَمُدَّ لها الحبولُ

إلى القرم الذي فاتتْ يداهُ

بفعلِ الخيرِ بَسْطَةَ مَنْ يُنيلُ

إذا ما غَالِيَ الحمدِ اشتراهُ

فما إنْ يَستَقِلُّ ولا يُقِيلُ

أمينُ الصَّدرِ يحفظُ ما تولّى

كما يُلْفى القويُّ به النّبيلُ

نقيٌّ طاهرُ الأثوابِ بَرٌّ

لكلّ الخيرِ مُصْطَنِعٌ مُحيلُ

أبا مروانَ أنت فتى قريشٍ

وكهلُهُمُ إذا عُدَّ الكُهولُ

تُوَلّيهِ العَشِيرَةُ ما عَنَاهَا

فلا ضَيْقُ الذراعِ ولا بخيلُ

إليكَ تشيرُ أيديهمْ إذا ما

رَضُوا أو غَالَهُمْ أمرٌ جليلُ

كِلا يومَيهِ بالمعروفِ طلقٌ

وكلُّ فعالهِ حسنٌ جميلُ

جوادٌ سابقٌ في اليُسرِ بحرٌ

وفي العِلاّتِ وهّابٌ بَذُولُ

تأنَّسُ بالنَّباتِ إذا أتَاهَا

لِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ الأرضُ المحولُ

لِبهجةِ واضحٍ سهلٍ عليهِ

إذا رُئِيَ المهابةُ والقَبُولُ

لأهلِ الوُدِّ والقربى عليهِ

صَنَائِعُ بَثَّهَا بَرٌّ وَصُولُ

أيادٍ قد عُرفنَ مُظاهراتٍ

له فيها التطاوُلُ والفُضُولُ

وَعَفْوٌ عن مُسِيئِهِمُ وَصَفْحٌ

يَعُودُ به إذا غَلِقَ الحجولُ

إذا هوَ لم تُذَكِّرهُ نُهاهُ

وَقَارَ الدّين والرأيُ الأصيلُ

وللفقراء عائِدَةٌ وَرُحْمٌ

ولا يُقْصَى الفقيرُ ولا يَعِيلُ

جنابٌ واسعُ الأكنافِ سَهْلٌ

وَظِلٌّ في مَنادِحِهِ ظَلِيلُ

وكمْ منْ غارمٍ فرَّجْت عنهُ

مغارمَ كلُّ مَحْمَلِهَا ثقيلُ

وذي لَدَدٍ أريتَ اللدَّ حتَّى

تبيَّنَ واستبانَ له السَّبِيلُ

وأمرٍ قد فَرَقْتَ اللَّبْسَ منه

بحِلمٍ لا يجورُ ولا يميلُ

نمى بك في الذؤابةِ من قُرَيْشٍ

بِنَاءُ العِزِّ والمجدُ الأثيلُ

أرُمُ ثَابتٌ يَهْتَزُّ فيه

بأكرمِ منبتٍ فرعٌ أصيلُ

أقُولُ وقد جاوَزْنَ مِنْ صَدْرِ رَابِغٍ

أقُولُ وقد جاوَزْنَ مِنْ صَدْرِ رَابِغٍ

مَهَامِهَ غُبراً يَرْفَعُ الأكَمَ آلُها

أألْحَيُّ أم صِيرَانُ دَوْمٍ تَنَاوَحَتْ

بتريمِ قصراً واستحثَّتْ شِمالُها

أرى حِينَ زَالَتْ عِيرُ سَلْمَى برَابِغٍ

وَهَاجَ القُلُوبَ السَّاكِنَاتِ زوالُها

كأنَّ دموعَ العين لمّا تخلَّلتْ

مخارِمَ بيضاً من تمَنّي جِمَالُها

قبلنَ غروباً من سُميحةَ أنزعتْ

بهنَّ السَّواني واستدارَ محالُها

لعمرُكَ إنَّ العينَ عن غير نعمةٍ

كذاكَ إلى سَلْمَى لَمُهْدًى سِجَالُها

عذرتُكَ في سلمى بآنفةِ الصِّبا

وَمَيْعَتِهِ إذْ تَزْدَهيكَ ظِلالُها

وملتمسٍ منّي الشَّكيَّةَ غرَّهُ

ليانُ حواشي شيمتي وجمالُها

رَميتُ بأطرافِ الزِّجاجِ فَلَمْ يُفِقْ

عَنِ الجَهْلِ حَتَّى حكّمتهُ نصالُها

وَذِي كَرَمٍ يوماً أرَادَ كَرامَتي

وعربة ودّي رَغْبَةً هَلْ ينالُها

بذلتُ له مثلاً وكُلَّ تحيّةٍ

مَنَ المَرْءِ مَرْدُودٌ عليه مثالُها

حَيِّ المَنَازِلَ قَدْ عَفَتْ أطْلالُها

حَيِّ المَنَازِلَ قَدْ عَفَتْ أطْلالُها

وعفا الرَّسومَ بمورهنَّ شَمَالُها

قَفْراً وَقَفْتُ بها فَقُلْتُ لِصَاحِبي

والعينُ يسبقُ طرفَها إسبالُها

أقوى الغَيَاطِلُ مِنْ حِرَاجِ مَبَرَّةٍ

فَخُبُوتُ سَهْوَةَ قَدْ عَفَتْ فرمالها

وتقاصرتْ أُصلاً شخوصُ أرومِها

حتّى مثلنَ وأعرضتْ أغفالُها

الضَّارِبُونَ أمَامَها وَوَرَاءَها

بمهنّداتٍ قد أجيد صقالُها

الحلمُ أثبتُ منزلاً في صدرِهِ

مِنْ هضْبِ صِنْدِدَ حَيْثُ حَلَّ خيالُها

ولوجهِهُ عندَ المسائل إذْ غدا

وَغَدَتْ فوَاضِلُ سَيْبِهِ وَنَوَالُها

بالخيرِ أبلجُ من سقايةِ راهبٍ

تُجْلى بمَوْزَنَ مُشْرِقٌ تِمْثالُها

إذا ابتدرَ النّاسُ المكارمَ بزَّهمْ

إذا ابتدرَ النّاسُ المكارمَ بزَّهمْ

عَرَاضَةُ أخْلاَق ابن لَيْلى وَطُولُها

وإنَّ ابنَ ليلى فَاهَ لي بمَقَالَةٍ

ولو سرتُ فيها كنتُ ممّن ينيلُها

عَجِبْتُ لِتَرْكِي خُطَّةَ الرُّشْدِ بَعْدَمَا

بَدَا ليَ مِنْ عَبْدِ العَزِيزِ قَبُولُها

وأمِّيَ صعباتِ الأمورِ أروضُها

وقدْ أمكنتني يومَ ذاكَ ذلولُها

حلفتُ بربِّ الرّاقصاتِ إلى منىً

يَعُولُ البلادَ نَصُّها وَدَمِيلُها

لئن عادَ لي عبدُ العزيزِ بمثلِها

وأمْكَنَنِي مِنْهَا إذاً لا أُقِيلُها

فهل أنتَ إن راجعتُكَ القولَ مرّةً

بأحْسَنَ منها عَائِدٌ فمُنِيلُها

على خالدٍ أصبحتُ أبكي لخالدٍ

على خالدٍ أصبحتُ أبكي لخالدٍ

وأصدُقُ نفساً قد أصيبَ خليلُها

تذكرتُ منه بعدَ أوَّلِ هجعةٍ

مساعيَ لا أدري على مَنْ أحيلُها

وكنتَ إذا نابتْ قريشاً مُلمَّةٌ

وقال رجالٌ سادةٌ: من يُزيلُها

تكونُ لها لا معجَباً بنَجَاحِها

ولا يحملُ الأثقالَ إلاّ حمولُها

فأينَ الّذي كَانتْ معَدٌّ تَنُوبُهُ

ويحتملُ الأعباءَ ثمَّ يعولُها ؟

أمِنْ طلَلٍ أقْوَى مِنَ الحَيّ مَاثِلُهْ

أمِنْ طلَلٍ أقْوَى مِنَ الحَيّ مَاثِلُهْ

تهيِّجُ أحزانَ الطَّروبِ منازلُهْ

بَكَيْتَ، وما يُبكِيكَ مِنْ رَسْمِ دِمْنَةٍ

أضرَّ به جودُ الشّمال ووابلُهْ

سقى الرَّبعُ منْ سلمى بنعفِ رواوةٍ

إلى القهبِ أجوادُ السَّميِّ ووابلُهْ

وإنْ كانَ لا سعدى أطالتْ سكونهُ

ولا أهلُ سعدى آخرَ الدهر نازلُهْ

وإنِّي لأرْضَى مِنْ نَوَالِكِ بالَّذي

لو أبصرهُ الواشي لقُرَّتْ بلابلُهْ

بلى وبَأنْ لا أسْتطيعُ وبالمُنى

وبالوعدِ والتسويفِ قد ملَّ آملُهْ

وحبُّكِ ينسيني من الشيء في يدي

ويُذهلُني عنْ كلِّ شيءٍ أزاولهْ

سيَهلكُ في الدّنيا شفيقٌ عليكمْ

إذا غالهُ منْ حادثِ الدَّهر غائلُهْ

ويُخْفِي لكُمْ حُبّاً شَدِيداً ورَهبةً

وَلِلنَّاس أشْغَالٌ وَحُبُّكِ شاغِلُه

كَرِيمٌ يُميتُ السِّرَّ حتَّى كأنَّهُ

إذا استبحثوهُ عنْ حديثكِ جاهلُهْ

يودُّ بأنْ يمسي سقيماً لعلَّها

إذا سمعتْ عنهُ بشكوى تراسِلُهْ

وَيَرْتَاحُ للمَعْرُوفِ في طَلَبِ العُلى

لتُحْمَدَ يوماً عِنْدَ ليلى شَمَائِلُهْ

وعن سرِّكمْ في مُضمَرِ القلبِ والحشا

شَفِيقٌ عَليكُمْ لا تُخَافُ غوائِلُهْ

وأكتُمُ نفسي بعض سِرّي تكرُّماً

إذا ما أضاعَ السِّرَّ في النّاس حاملُهْ

فلوْ كنتُ في كبلٍ وبُحتُ بلوعتي

إليه لأنَّتْ رَحْمَةً لي سَلاَسِلُهْ

ولو أكلتْ من نبتِ عيني بهيمةٌ

لهيّجَ منها رَحْمَةً حِينَ تأكُلُهْ

ويُدركُ غيري عند غيركِ حظَّهُ

بِشِعْرِي وَيُعييني به ما أُحاولُهْ

فلا هَانَتِ الأشْعَارُ بَعدي وبَعدَكُم

مُحبّاً وَمَاتَ الشِّعرُ بعدي وقائلُه

أهَاجَكَ لَيْلَى إذْ أجدَّ رَحِيلُهَا

أهَاجَكَ لَيْلَى إذْ أجدَّ رَحِيلُهَا

نَعَمْ وَتَنَتْ لَمَّا احزَألَّتْ حمولُها

لَقَدْ سِرْتُ شَرْقِيَّ البِلاَدِ وَغَرْبَهَا

وقد ضربتني شمسُها وظُلولُها

ينوءُ فيعدو منْ قريبٍ إذا عدا

ويكمُنُ في خشباءَ وعثٍ مقيلُها

سيأتي أميرَ المؤمنين ودونَهُ

صمادٌ من الصَّوّانِ مرتٌ ميولُها

فَبيدُ المُنقّى فالمشارفُ دونَهُ

فرَوْضَةُ بُصْرَى أعرَضَتْ فبسيلُها

ثنائي تؤدّيه إليكَ ومدحتي

صُهَابِيَّةُ الألوانِ بَاقٍ ذميلُهَا

عسوفٌ بأجوازِ الفلا حميَرِيَّةٌ

مَريشٌ بذِبْيَانِ السَّبيبِ تَليلُها

يُغَادِي بِفَارِ المِسْكِ طوْراً وَتَارَةً

تُرَى الدِّرْعُ مُرفضّاً عليه نثيلُها

وقد شخصتْ بالسّابريّةِ فوقهُ

معلَّبةُ الأنبوبِ ماضٍ أليلُها

ترى ابنَ أبي العاصي وقدْ صُفَّ دونهُ

ثمانونَ ألفاً قد توافتْ كمولُها

يُقلِّبُ عيني حيَّةٍ بمحارةٍ

أضَافَ إليها السَّاريَاتِ سَبيلُها

يَصُدُّ وَيُغْضي وَهْوَ ليثُ خفيّةٍ

إذا أمكنتهُ عدوةٌ لا يُقيلُها

بسطتَ لباغي العرفِ كُفّاً بسيطةً

تنالُ العدى بلهَ الصَّديقَ فضولُها

ولم يكُ عن عَفرٍ تَفَرُّعُكَ العُلى

ولكنْ مواريثُ الجدودِ تؤولُها

حمَوْا مَنْزِلَ الأمْلاكِ مِنْ مَرْجِ راهطٍ

وَرَمْلَةِ لُدٍّ أنْ تُبَاحَ سُهُولُهَا

ألا حَيِّيَا لَيْلى أجَدَّ رَحيلي

ألا حَيِّيَا لَيْلى أجَدَّ رَحيلي

وآذَنَ أصْحَابي غَداً بِقُفُول

تبدَّتْ لهُ ليلى لتغلبَ صبرهُ

وَهَاجَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بعْدَ دُهُول

أُريدُ لأنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا

تمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ

إذا ذُكِرَتْ ليلى تَغَشَّتْكَ عَبْرَةٌ

تُعَلُّ بها العَيْنَانِ بَعْدَ نُهُولِ

وكم من خليلٍ قال لي لو سألتَها

فقلت: نعمْ ليلى أضنُّ خليلِ

وأبْعَدُه نَيْلاً وأوْشَكُهُ قِلًى

وإن سُئلتْ عرفاً فشرُّ مسولِ

حلفتُ بربِّ الرّاقصاتِ إلى منىً

خلالَ الملا يمدُدنَ كلَّ جديلِ

تراها وفاقاً بينهنَّ تفاوتٌ

ويمددنَ بالإهلال كلَّ أصيلِ

تَوَاهَقْنَ بِالحُجّاجِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ

وَمِنْ عَزَوَرٍ والخَبْتِ خَبْتِ طْفِيلِ

بكُلِّ حَرَامٍ خَاشِعٍ مُتَوَجِّهٍ

إلى الله يَدْعُوه بكُلّ نقيلِ

على كلِّ مذعانِ الرّواح معيدةٍ

ومخشيّةٍ ألاّ تعيد هزيلِ

شوامذ قد أرتجنَ دون أجنَّةٍ

وهوج تبارى في الأزمّةِ حولِ

يمينَ امرئٍ مستغلظٍ بأليّةٍ

ليُكذِبَ قِيلاً قَدْ ألَحَّ بقيلِ

لقد كذبَ الواشون ما بحتُ عندهُمْ

بليلى ولا أرسلتهم برسيل

فإن جاءكِ الواشونَ عني بكذبةٍ

فروْها ولم يأتوا لها بحويل

فَلاَ تَعْجِلي يَا لَيْلَ أنْ تَتَفَهَّمِي

بنُصْحٍ أتى الوَاشُون أمْ بِحُبُول

فإنْ طبتِ نفساً بالعطاءِ فأجزلي

وخيرُ العطايا ليلَ كلُّ جزيل

وإلاّ فإجمالٌ إليّ فإنّني

أُحِبُّ من الأخلاق كُلّ جميل

فإنْ تَبذُلي لي منكِ يَوماً مَوَدَّةً

فَقِدْماً صنَعتِ القَرْضَ عِنْدَ بَذُول

وإنْ تَبْخَلي يا لَيْلَ عَنّي فإنّني

تُوَكّلُني نَفْسِي بكلّ بخيل

ولستُ براضٍ من خليلي بنائلٍ

قليلٍ ولا رَاضٍ لهُ بقليل

وَلَيْسَ خَلِيلي بالمَلُولِ ولا الَّذي

إذا غبتُ عنهُ باعني بخليل

ولكنْ خليلي منْ يدومُ وصالُهُ

ويحفظُ سرّي عندَ كلِّ دخيل

ولم أرَ من ليلى نوالاً أعدُّهُ

ألا ربّما طالبتُ غيرَ منيل

يلومُكَ في ليلى وعقلُكَ عندها

رجالٌ ولم تذهبْ لهم بعقول

يقولون ودّعْ عنكَ ليلى ولا تهمْ

بِقَاطِعَةِ الأقْرَانِ ذاتِ حليلِ

فَمَا نَفَعَتْ نَفْسِي بما أمرُوا بهِ

ولا عِجْتُ مِنْ أقْوَالِهِمْ بِفَتِيلِ

تذكّرتُ أتراباً لعزَّة كالمَها

حبينَ بليطٍ ناعم وقبولِ

وكنتُ إذا لاقيتُهنَّ كأنّني

مخالطةٌ عقلي سلافُ شمولِ

تأطَّرْنَ حَتَّى قُلْتُ لَسْنَ بَوَارحاً

رَجَاءَ الأماني أنْ يَقِلْنَ مقيلي

فأبدين لي من بينهنَّ تجهُّماً

وأخلفنَ ظنّي إذْ ظننتُ وقيلي

فلأياً بلأيٍ ما قضينَ لبانةً

من الدّارِ واستقللن بعد طويلِ

فلمّا رأى واستيقنَ البينَ صاحبي

دعا دعوةً يا حبترَ بنَ سلولِ

فَقُلْتُ وأسْرَرْتُ النَّدَامَةَ لَيْتَني

وَكُنْتُ امرءاً أغتشُ كلَّ عَذُولِ

سَلَكْتُ سَبيلِ الرَّائِحَاتِ عَشِيَّةً

مَخَارمَ نِصْعٍ أوْ سَلَكْنَ سَبيلي

فَأسْعَدْتُ نَفْساً بالهوى قَبْلَ أنْ أرى

عواديَ نأيٍ بيننا وشغولِ

نَدِمْتُ عَلَى مَا فاتني يَوْمَ بنتُمُ

فيا حَسْرَتَا ألاَّ يَرَيْنَ عويلي

كأنَّ دموعَ العين واهيةُ الكُلى

وعتْ ماءَ غربٍ يوم ذاك سجيل

تكنَّفها خُرقٌ تواكلنَ خرزَها

فأرْخَيْنَهُ والسَّيرُ غَيْرُ بجيل

أقيمي فإنَّ الغورَ يا عزَّ بعدكمْ

إليَّ إذا ما بنتِ غيرُ جميل

كفى حزناً للعين أن راءَ طرفُها

لعزَّةَ عيراً آذنتْ برحيل

وقالوا: نأتْ فاخترْ من الصَّبر والبُكا

فقلتُ البُكا أشفى إذاً لغليلي

فَوَلَّيْتُ محزوناً وَقُلْتُ لِصَاحبي

أقاتلتي ليلى بغير قتيل

لِعزَّة إذْ يحتلُّ بالخيفِ أهلُها

فأوْحشَ منها الخَيْفُ بَعْدَ حُلُول

وبدَّلَ منها بعدَ طول إقامةٍ

تبعُّثُ نكباءِ العشيِّ جفول

لقد أكثرَ الواشونَ فينا وفيكمُ

ومالَ بنا الواشون كلَّ مميل

وما زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ طَرَّ شاربي

إلى اليومِ كالمُقصى بكلِّ سبيل

ألمّا عَلى سَلْمَى نُسَلِّمْ وَنَسْأَل

ألمّا عَلى سَلْمَى نُسَلِّمْ وَنَسْأَلِ

سؤالَ حفيٍّ بالحبيبِ موكّلِ

سبتهُ بعذب الريقِ صافٍ غروبُه

رقيقِ الثّنايا باردٍ لم يفلّلِ

وأسْوَدَ ميّالٍ على جِيدِ ظَبْيَةٍ

من الأدمِ حوراءِ المدامع مغزلِ

وأثْلَعَ بَرَّاقٍ كأنَّ اهتزازَهُ

إذا انتصفتْ للرَّوعِ هزّةُ منصُلِ

وما قرقفٌ من أذرُعاتٍ كأنَّها

إذا سُكِبَتْ مِن دَنِّها ماءُ مفصِلِ

يُصبُّ على ناجودِها ماءُ بارقٍ

وَعَاهُ صفاً في رأسِ عَنقاء عَيْطَلِ

بأطْيَبَ مِنْ فيها لمَنْ ذاقَ طعْمَهُ

وَقَدْ لاحَ ضَوْءُ النَّجْمِ أوْ كَاد ينجلي

أخاضتْ إليَّ اللَّيلَ خودٌ غريرةٌ

جبانُ السُّرى لم تنتطقْ عنْ تفضُّلِ

إليكَ ابنَ مَرْوَانَ الأغَرَّ تَكَلَّفَتْ

مسافةَ ما بينَ البُضيعِ فيليلِ

جرى ناشياً للمجدِ في كلِّ حلبةٍ

فجاءَ مجيءَ السّابقِ المتهلّلِ

متى يعْتَهدْهُ الرّاغبونَ فيكثروا

على بابهِ يكثرْ قراهُ فيعجَلِ

وَيُعْطي عَطاءً تَنْتَهي دُونَهُ المُنى

عطاءَ وهوبٍ للرّغائبِ مجزلِ

أشدُّ حياءً من فتاةٍ حييَّةٍ

وأمضى مضاءً من سنانٍ مؤلّلِ

وأخْوَفُ في الأعداءِ مِن ذي مهابَةٍ

بخَفّانَ وَرْدٍ وَاسِعِ العَينِ مُطفِلِ

له جَزَرٌ في كُلِّ يومٍ يجُرُّهُ

إلى لبُوَاتٍ في العَرِينِ وأشْبُلِ

إذا وفدتْ ركبانُ كعبٍ وعامرٍ

عَلَيْكَ وأرْدُوا كُلَّ هَوْجَاءَ عَيهلِ

لَقُوكَ بقَوْلٍ مِنْ ثَنَائِيَ صادِقٍ

تخيَّرتُهُ حرَّ القصيدِ المنخَّلِ

ثناءً يوافي بالمواسمِ أهلَها

ويُنشدُهُ الرُّكبانُ في كلِّ محفلِ

أقرَّ الله عَيْني إذْ دَعَاني

أقَرَّ الله عَيْني إذْ دَعَاني

أمينُ اللهُ يلطُفُ في السُّؤالِ

وأثْنَى في هَوَايَ عَليَّ خيْراً

ويسألُ عن بنيَّ وكيفَ حالي

وكيف ذكرتُ حال أبي خبيبٍ

وَزِلّةَ فِعْلِهِ عِنْدَ السُّؤَالِ

هُوَ المَهْدِيُّ خَبَّرْناهُ كَعْبٌ

عَرَفْتُ الدَّارَ كالخِلَلِ البَوَالي

عَرَفْتُ الدَّارَ كالخِلَلِ البَوَالي

بفيفِ الخائعين إلى بعال

دِيَارٌ مِنْ عُزَيزَةَ قَدْ عَفَاهَا

تَقَادُمُ سَالِفِ الحِقَبِ الخوالي

كأنَّ حُمُولَهُمْ لمَّا تَوَلَّتْ

بيليلَ والنَّوى ذاتُ انفتال

وعدَّتْ نحو أيمنها وصدَّتْ

عن الكثبانِ من صعُدٍ وخال

شوارعُ في ثرى الخرماءِ ليستْ

بجاذية الجذوع ولا رقال

فَسَجَّفْنَ الخُدُورَ بكلّ وجهٍ

نَقيٍّ لونُهُ كَسَنَا الهلال

بِكُلِّ تِلاعَةٍ كالبَدْرِ لمّا

تنوَّرَ واستقلَّ على الجبال

كأنَّ الرِّيحَ تثني حين هبّتْ

ولو ضعفت- بهنَّ فروعَ ضال-

كسونَ الرَّيطَ ذا الهدبِ اليماني

خصوراً فوقَ أعجازٍ ثقال

وَيَجْعَلْنَ الخَلاخِلَ حين تُلْوى

بأسُؤقِهِنَّ في قَصَبٍ خِدَال

وكنتُ قُبيلَ أنْ يُخْلِفْنَ ظنّي

أكذّبُ بالتَّفرّق والزّيال

فلمّا إنْ رأيتُ العيسَ صبَّتْ

بذي المأثُول مُجْمِعَةَ التَّوالي

وَقَحَّمَ سَيْرُنَا من قُور حِسْمى

مروتَ الرَّعي ضاحيةَ الظّلال

وأرْغَمَ ما عَزَمْنَ البَيْنُ حَتَّى

دَفَعْنَ بِذِي المَزَارِع والنِّجَال

فَقُلْتُ وَقَدْ جَعَلْنَ براقَ بَدْرٍ

يميناً والعُنابةَ عن شمال

وأشْمَتَّ العِدَى حَتَّى كأنّي

وإيّاها لهم غرضُ النِّبال

وأبعد ما بدا لكَ غَيْرَ مُشْكٍ

خليلٌ لستَ أنتَ له بقال

أقُولُ لَهَا عُزَيْزَ مَطَلْتِ دَيْنِي

وشرُّ الغانياتِ ذوو المطال

فقالتْ ويبَ غيركَ كيف أقضى

غريماً ما ذَهَبْتُ له بمال

فأقسمُ لو أتيتُ بالبحرَ يوماً

لأشربَ ما سقتني من بُلال

وأُقسمُ أنَّ حبَّكِ أمَّ عمرو

لَدَى جَنْبي وَمُنْقَطَع السّعال

إرْبَعْ فُحَيِّ مَعَارفَ الأطْلاَل

إرْبَعْ فَحَيِّ مَعَارفَ الأطْلاَلِ

بالجزع من حرُضٍ فهنَّ بوالِ

فَشِرَاجَ رِيمَةَ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا

بالسَّفْحِ بينَ أُثَيِّلٍ فبَعالِ

وَحْشاً تَعَاوَرَها الرِّيَاحُ كأنَّها

تَوْشيحُ عَصْبِ مُسَهَّمِ الأغيالِ

لمّا وَقَفْتُ بِهَا القَلُوصَ تبادَرتْ

حببُ الدُّموعِ كأنَّهنَّ عزالي

وذكرتُ عزَّةَ إذا تُصاقبُ دارُها

برُحَيِّبٍ فَأُرَابِنٍ فَنُخَالِ

أيّامَ أهْلونَا جَمِيعاً جيرَةٌ

بِكُثَانَةٍ فَفُرَاقِدٍ فَثُعالِ

سَقْياً لِعَزَّةَ خُلَّةً سَقْياً لها

إذْ نَحْنُ بالهَضَبَاتِ مِن أمْلالِ

إذ لا تكلِّمُنا وكانَ كلامُها

نفلاً نؤمِّلُهُ منَ الأنفالِ

وبجيد مغزلةٍ تزودُ بوجرةٍ

بَجَلاَتِ طَلْحٍ قد خُرفن وَضالِ

إذْ هنَّ في غلسِ الظَّلامِ قواربٌ

أعْدَادَ عَيْنٍ من عُيون أثَالِ

يجتزن أوديةَ البُضيع جوازعاً

أجواز عينونا فنَعفَ قبالِ

ترمي الفجاجَ إذا الفجاجُ تشابهتْ

أعلامُها بمهامهٍ أغفالِ

بركائبٍ منْ بينِ كلِّ ثنيّةٍ

سرحِ اليدينِ وبازلٍ شملالِ

ناجٍ إذا زُجرَ الرّكائبُ خلفهُ

فَلحِقْنَهُ وَثْنِينَ بالحَلْحَالِ

يَهْدِي مَطايَا كالحَنيِّ ضَوامراً

بِنياطِ أغْبَرَ شاخِصِ الأميالِ

تمطو الجديلَ إذا المكاكي بادرتْ

جحلَ الضِّبابِ محافرَ الأدحالِ

وَتَعَانَقَتْ أُدْمُ الظِبَّاءِ وَبَاشَرَتْ

أكْنَافَ كُلِّ ظليلَةٍ مِقْيَالِ

فكأنَّهُ إذ يغتدي متسنِّماً

وَهْداً فَوَهْداً ناعِقٌ برئَالِ

كالمضرحيِّ عدا فأصبح واقعاً

من قدسَ فوقَ معاقلِ الأوعالِ

فَنَبَذْتُ ثَمَّ تَحِيَّةً فأعَادَهَا

غَمْرُ الرِّدَاءِ مُفَضْفَضُ السِّرْبَالِ

يُعطي العشيرةَ سؤلَها ويسودُها

يومَ الفخارِ ويومَ كلِّ نبالِ

وبثثتَ مكرُمةً فقد أعددتَها

رصداً ليومِ تفاخُرٍ ونضالِ

غَمرُ الرِّداءِ إذا تَبسَّمَ ضاحِكاً

غلقتْ لضحكتهِ رقابُ المالِ

يَا عَيْن بَكي لِلَّذي عَالَني

يَا عَيْن بَكي لِلَّذي عَالَني

مِنْكِ بدَمعٍ مُسْبلٍ هَامِلِ

يا جعدَ بكّيه ولا تسأمي

بُكاءَ حَقٍّ لَيْسَ بالباطلِ

إنْ تسثُري الميتَ على مثلِهِ

في النّاس مِنْ حَافٍ وَمِنْ ناعلِ

مَا عَنَاكَ الغَدَاةَ مِنْ أطْلاَلِ

مَا عَنَاكَ الغَدَاةَ مِنْ أطْلاَلِ

دَارسَاتِ المَقامِ مُذْ أحْوَالِ

باديَ الرَّبعِ والمعارفِ منها

غَيْرَ رسْمٍ كعُصْبَةِ الأغيالِ

مَا تَرَى العَيْنُ حَوْلَهَا مِنْ أنيسٍ

قُرْبَها غَيْرَ رَابدَاتِ الرّئالِ

يَا خَلِيلي الغَدَاةَ إنَّ دُمُوعي

سبقتْ لمح طرفِها بانهمالِ

قمْ تأمّلْ وأنتَ أبصرُ منّي

هلْ تَرى بالغَمِيمِ منْ أجمالِ

قَاضيَاتٍ لُبَانَةً مِنْ مُنَاخٍ

وطوافٍ وموقفٍ بالجبالِ

حزيتْ لي بحزم فيدة تحدى

كاليهوديِّ من نطاةِ الرّقال

قِلْنَ عُسْفَانَ ثمَّ رُحْنَ سِراعاً

طالِعَاتٍ عَشِيَّةً مِنْ غَزَال

قارضَاتِ الكَديدِ مُجْتَرِعَاتٍ

كلَّ وادي الجُحوفِ بالأثقال

قصدَ لفتٍ وهنَّ متَّسقاتٌ

كالعَذَوْليِّ لاحِقاتِ التّوالي

حينَ ورَّكنَ دوَّةٌ بيمينٍ

وسريرَ البُضيعِ ذاتَ الشِّمال

حزنَ وادي المياه محتضراتٍ

مدرجَ العرجِ سالكاتِ الخلال

والعُبَيْلاءُ مِنْهُمُ بيَسارٍ

وَتَرَكْنَ العَقيقَ ذاتَ النّصال

طَالِعَاتِ الغَمِيسِ مِنْ عَبّودٍ

سالكاتِ الخويِّ مِنْ أمْلال

وَطوَتْ جَانِبَيْ كُنَانَةَ طيّاً

فجنوبَ الحمى فذاتَ النّضال

فَسَقَى الله مُنْتَوَى أُمّ عَمْرٍو

حيْثُ أمّتْ بهِ صُدُورُ الرّحال

تَسْمَعُ الرَّعْدَ في المَخيلةِ منها

مِثْلَ هَزْمِ الفُرُومِ في الأشْوَال

وترى البرقَ عارضاً مستطيراً

مرحَ البُلق جلنَ في الأجلال

أو مصابيحَ راهبٍ في يفاع

سَغَّمَ الزَّيتَ سَاطِعَاتِ الذُّبال

حَبَّذا هُنَّ من لُبانة ِ قَلْبي

وَجَدِيدُ الشَّبابِ مِنْ سِرْبَالِي

رُبَّ يَوْمٍ أتيتُهُنَّ جميعاً

عندَ بيضاءَ رخصةٍ مكسال

غيرَ أنّي امرؤٌ تَعَمَّمْتُ حِلْماً

يَكْرَهُ الجَهْلَ والصِّبا أمثالي

ويُلامُ الحَلِيمُ إنْ هُوَ يوماً

راجعَ الجَهْلَ بعد شَيْبِ القَذال

وأنتِ لعيني قُرَّةٌ حين نلتقي

وأنتِ لعيني قُرَّةٌ حين نلتقي

وذكرُكِ في نفسي إذا خدرتْ رجلي

وإنْ رَمِدَتْ عَيْنَاي يَوْماً كحَلْتُها

بعينيكِ، لم أبْغِ الدّرورَ من الكُحْلِ

ألا يا لقومي للنَّوى وانفتالها

ألا يا لقومي للنَّوى وانفتالها

وللصَّرم من أسماءَ ما لم تُدالِها

عَلى شِيمةٍ لَيْسَتْ بجدِّ طَلِيقَةٍ

إلينا ولا مقليّةٍ من شمالِها

هو الصَّفْح منها خَشْيَةً أنْ تَلُومَها

وأسْبَابُ صَرْمٍ لم تَقَعْ بِقِبَالِهَا

وَنَحْنُ على مِثْلٍ لأسْمَاءَ لم نَجُزْ

إليها ولم نقطعْ قديمَ خلالِها

وَشَوْقي إذا استيقنتُ أنْ قد تَخَيَّلتْ

لبينِ نَوى أسماءُ بعضَ اختيالها

وأسماءُ لا مشنوعةٌ بملامةٍ

إلينا ولا معذورةٌ باعتلالِها

وإنّي على سُقْمِي بأسْمَاءَ والّذي

تراجعُ منّي النّفسُ بعد اندمالِها

لأرتاح من أسماء للذّكر قد خَلا

وللربع من أسماء بعد احْتمالها

وإن شحطتْ يوماً بكيتُ وإنْ دنتْ

تذلّلتُ واستكثرتُها باعتزالِها

وأُجْمِعُ هِجْراناً لأسْمَاءَ إنْ دَنَتْ

بها الدّارُ لا من زُهدةٍ في وصالِها

فما وَصَلَتْنَا خُلّةٌ كوصالها

ولا ماحَلَتْنا خُلّةٌ كَمِحالها

فهل تجزينْ أسماءُ أورقَ عودها

ودامَ الذي تثرى بهِ منْ جمالِها

حَنِيني إلى أسْمَاءَ والخَرْقُ دونَها

وإكْرَامِيَ القومَ العِدَى منْ جَلالِها

هلَ أنتَ مطيعي أيّها القلبُ عنوةً

وَلَمْ تَلْحُ نَفْساً لم تُلَمْ في احتيالها

فَتَجْعَلَ أسْمَاءَ الغَدَاةَ كَحَاجَةٍ

أجمّتْ فلمّا أخْلَفَتْ لم تبالها

وَتَجْهَلَ مِنْ أسْمَاءَ عَهْدَ صَبَابَةٍ

وتحذوَها من نعلِها بمثالِها

لعمرُ أبي أسْمَاءَ مَا دَامَ عَهْدُها

عَلَى قَوْلِهَا ذاتَ الزُّمين وحالها

وَما صَرَمَتْ إذْ لَمْ تَكُنْ مستثيبةً

بعاقبةٍ حبلَ امرئٍ من حبالِها

فواعجبا منْ شَوْبِهَا عَذْبَ مائِها

بمِلْحٍ، وما قد غيّرَتْ من مقالها

ومن نَشْرِهَا ما حُمّلَتْ من أمَانَةٍ

ومن وأيِها بالوعدِ ثمَّ انتقالِها

وكنّا نراها باديَ الرّأي خلّةً

صَدُوقاً على ما أُعْطِيَتْ منْ دَلالها

وَلَيْلَةِ شَقّانِ يبلُّ ضَرِيبُها

بنا صَفَحاتِ العِيسِ تحتَ رحالها

سريتُ ولولا حبُّ أسماءَ لم أبتْ

تُهَزْهِزُ أثوابي فُنُونُ شمالهَا

إلى ظُعُنٍ يتبعنَ في قتر الضُّحى

إلى ظُعُنٍ يتبعنَ في قترِ الضُّحى

بعُدْوَةِ وَدَّانِ المَطِيَّ الرَّواسما

تخلّلْنَ أجْزَاعَ الضَّئِيدِ غُدَيّةً

وَرُعْنَ امرءاً بالحاجِبِيّةِ هائما

ومرَّتْ تحتُّ السَّائقاتُ جمالَ

بها مُجْتَوَى ذي مَعْبَطٍ فالمَخَارما

فَلَمَّا انْقَضَتْ أيَّامُ نهْبَلَ كُلُّها

وَوَاجَهْنَ ديْموماً من الخَبْتِ قاتما

تيامنَّ عن ذي المرِّ في مسبطرَّةٍ

يَدُلُّ بها الحادي المُدِلُّ المَراومَا

لعزّة أطلالٌ أبتْ أنْ تكلّما

لعزّة أطلالٌ أبتْ أنْ تكلّما

تهيجُ مغانيها الطَّروبَ المتيَّما

كأنَّ الرّياحَ الدّارياتِ عشيّةً

بأطْلالها يَنْسِجنَ رَيْطاً مُسهَّما

أبَتْ وأبَى وَجْدِي بعَزَّةَ إذْ نَأتْ

على عدواءِ الدَّارِ أنْ يتصرَّما

ولكنْ سقى صوبُ الرّبيعِ إذا أتى

على قَلْهيَّ الدَّارِ والمُتَخَيَّما

بغادٍ من الوسميِّ لمّا تصوَّبتْ

عثانينُ واديهِ على القعرِ ديِّما

سقى الكُدرَ فاللَّعباءَ فالبُرقَ فالحمى

فلوذَ الحصى من تغلمين فأظلما

فأروى جنوبَ الذَّونكينِ فضاجعاً

فدرَّ فأبلى صادقَ الوبلِ أسحما

تثُجُّ رواياهُ إذا الرَّعدُ زجَّها

بشابةَ فالقُهبِ المزادَ المُحذلما

فأصبح من يرعى الحمى وجنوبَهُ

بذي أَفَقٍ مُكّاؤهُ قد تَرنَّما

دِيَارٌ عَفَتْ مِنْ عَزَّةَ الصَّيْفَ بعدما

تُجدُّ عليهنَّ الوشيعَ المثمّما

فإنْ أنْجَدَتْ كان الهوى بكَ مُنجداً

وإنْ أتْهَمَتْ يوماً بها الدَّارُ أتْهما

أجدَّ الصِّبا واللّهوُ أن يتصرّما

وأنْ يعقباكَ الشَّيبَ والحلمَ منهُما

لَبِسْتَ الصِّبَا واللَّهْوَ حتَّى إذا انقضى

جَدِيدُ الصِّبَا واللّهو أعرضت عنهما

خليلين كانا صاحبيكَ فودّعا

فخذْ منهما ما نوَّلاكَ ودعهُما

على أنَّ في قلبي لِعزَّةَ وَقْرَةً

مِنَ الحُبِّ ما تَزْدَادُ إلا تتيُّما

يطالبُها مستيقناً لا تثيبُهُ

ولكن يُسلّي النّفسَ كي لا يلوَّما

يَهَابُ الَّذي لم يُؤْتَ حلماً كلامَها

وإنْ كان ذا حلمٍ لديها تحلَّما

تَرُوكٌ لِسِقْطِ القَوْلِ لا يُهتَدَى به

ولا هيَ تستوصى الحديثَ المُكتَّما

وَيَحْسَبُ نسْوانٌ لهنَّ وسيلةً

من الحُبّ، لا بَلْ حُبُّها كان أقدما

وعُلْقتُها وَسْطَ الجواري غَرِيرَةً

وما قُلْدَتْ إلا النّميمَ المنظَّما

غيوفُ القذى تأبى فلا تعرفُ الخنا

وترمي بعينيها إلى مَنْ تَكَرَّما

إلى أن دعتْ بالدَّرع قبلَ لداتِها

وعادتْ تُرى منهنَّ أبهى وأفخما

وغالَ فضولَ الدَّرع ذي العرضِ خلقُها

وَأثْعَبَتِ الحجْلَين حتَّى تقَصَّما

وكظّتْ سواريْها فلمْ يألُوانِها

لدنْ جاورا الكفّين أنْ يتقدّما

وتُدني على المتنين وحفاً كأنّهُ

عَنَاقِيدُ كَرْمٍ قد تَدَلّى فأنعما

من الهيفِ لا تخزى إذا الرّيحُ ألصقتْ

على متنِها ذا الطُرَّتين المنَمنما

وكنتُ إذا ما جئتُها بعدَ هجرةٍ

تقاصرَ يومئذٍ نهاري وأغيما

فأقسمتُ لا أنسى لعزَّةَ نظرةً

لها كدتُ أُبدي الوجد منّي المجمجِما

عَشِيَّةَ أوْمتْ، والعيونُ حواضِرٌ

إليَّ برجع الكفِّ أنْ لا تكلّما

فأعرضتُ عنها والفؤادُ كأنّما

يرى لو تناديهِ بذلك مغنما

فإنّكَ -عمري- هل أريكَ ظعائناً

بصحن الشَّبا كالدَّومِ من بطنِ تريما

نَظَرْتُ إليها وَهْيَ تَنْضُو وَتَكْتَسِي

من القفرِ آلاً كلَّما زالَ أقتَما

وقد جعلتْ أشجانَ بركٍ يمينَها

وَذاتَ الشّمَالِ مِنْ مُريخةَ أشْأما

مولّيةً أيسارها قطنَ الحمى

تواعدنَ شرباً من حمامةَ مُعلما

نَظَرْتُ إليها وهيَ تُحْدى عشيّةً

فأتبعتُهمْ طرفيَّ حتّى تتمّما

تروعُ بأكنافِ الأفاهيدِ عيرُها

نعاماً وحقباً بالفدافدِ صيّما

ظَعَائِنُ يَشْفِينَ السَّقِيمَ مِنَ الجَوَى

بهِ يُخبِّلنَ الصّحيحَ المُسلَّما

يُهنَّ المُنَقَّى عِنْدَهُنَّ من القَذَى

ويُكْرِمْنَ ذا القاذورةِ المتكرِّما

وكنتُ إذا ما جئتُ أجللنَ مجلسي

وأبدين منّي هيبةً لا تجهُّما

يُحَاذِرْنَ مِنّي غَيْرَةً قد عَلِمْنها

قديماً فما يَضْحَكْنَ إلاَّ تبسُّما

يُكَلِّلنَ حَدَّ الطَّرفِ عن ذي مهابةٍ

أبانَ أولاتِ الذَّلِّ لمّا توسَّما

تَرَاهُنَّ إلاَّ أنْ يؤدّينَ نظرَةً

بمؤخِرِ عَيْنٍ أو يُقلّبْنَ مِعْصَمَا

كواظمَ لا ينظقنَ إلاّ محورةً

رجيعةَ قولٍ بعدَ أنْ يُتفهَّما

وَكُنَّ إذا ما قُلْنَ شيئاً يسُرُّهُ

أسَرَّ الرِّضا في نفسه وتجرّما

فأقْصَرَ عن ذاك الهَوَى غيرَ أنَّهُ

إذا ذُكِرَتْ أسْمَاءُ عَاجَ مُسلّما

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الودَادَةُ أنَّني

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الودَادَةُ أنَّني

بما في ضمير الحاجبيّة عالمُ

فإنْ كَانَ خَيْراً سَرَّني وعَلِمْتُهُ

وإنْ كان شرّاً لم تلمني اللّوائمُ

وما ذكرتكِ النَّفسُ إلاّ تفرَّقتْ

فَريقين مِنها عَاذِرٌ لي ولائمُ

فريقٌ أبى أن يقبلَ الضَّيم عنوةً

وآخرُ منها قابلُ الضَّيم راغمُ

أروحُ وأغدُو من هَوَاكِ وأسْتَري

وفي النّفْس ممّا قد عَلِمْتِ علاقمُ

إلى أهل أجنادينَ من أرض منبجٍ

على الهوْلِ إذ ضَفْرُ القُوَى مُتَلاحمُ

وَمَا لَسْتُ من نُصْحي أخاكَ بمُنكَرٍ

بِبُطنانَ إذْ أهلُ القبابِ عماعمُ

سيأتي أميرَ المؤمنينَ ودونهُ

رُحابٌ وأنهارُ البُضيع وجاسمُ

ثنائي تُنمّيهِ عليَّ ومدحتي

سمامٌ على ركبانهنَّ العمائمُ

لعزَّة من أيّامِ ذي الغصن هاجني

لعزَّة من أيّامِ ذي الغصن هاجني

بضاحي قرار الرَّوضتين رسومُ

فرَوْضَةُ ألجَامٍ تَهيجُ ليَ البُكا

وروضاتُ شوطى عهدهنَّ قديمُ

هِيَ الدَّارُ وحْشاً غيرَ أنْ قد يحلّها

ويغنى بها شَخْصٌ عليَّ كريمُ

فما برباعِ الدَّارِ أنْ كُنْتُ عالماً

ولا بمَحَلِّ الغانياتِ أهيمُ

سألتُ حكيماً أين صارتْ بها النَّوى

فخبّرني ما لا أُحِبُّ حَكيمُ

أجَدُّوا فأمّا آلُ عزَّةَ غدوَةً

فبانوا وأمّا واسطٌ فمقيمُ

فما للنّوى لا باركَ اللهُ في النَّوى

وعهدُ النّوى عندَ المحبِّ ذميمُ

لعمري لئنْ كان الفؤادُ من النَّوى

بغى سَقَماً إنّي إذْنْ لسَقِيمُ

فإمّا تريني اليومَ أُبدي جلادةً

فإنّي لعمري تحت ذاك كليمُ

وما ظعَنتْ طوعاً ولكنّ أزالها

زمانٌ نبا بالصَّالحينَ مشومُ

فَوَاحَزَنا لما تَفَرَّقَ واسِطٌ

وأهلُ التي أهذي بها وأحومُ

وقال ليَ البُلاغَ ويحكَ إنّها

بغيركَ حقّاً يا كثيْرُ تهيمُ

أتشخصُ والشَّخصُ الذي أنتَ عادلٌ

به الخلدَ بينَ العائداتِ سقيمُ

يُذكّرُنيهَا كُلُّ ريحٍ مَريضةٍ

لها بالتّلاع القاوياتِ نسيمُ

تمرُّ السُّنونَ الماضياتُ ولا أرى

بصحن الشَّبا أطلالهنَّ تريمُ

وَلَسْتُ ابنَة الضَّمْريّ منكِ بناقمٍ

ذُنُوبَ العِدَى إنّي إذْنْ لظلومُ

وإنّي لذو وجدٍ لئن عادَ وصلُها

وإنّي على ربّي إذنْ لكَريمُ

إذا برَقتْ نحوَ البويبِ سحابةٌ

لعينيكَ منها لا تجفُّ سجومُ

ولستُ براءٍ نحوَ مصرَ سحابةً

وإنْ بعُدتْ إلاّ قعدتُ أشيمُ

فقد يوجدُ النّكسُ الدَّنيُّ عن الهوى

عزوفاً ويصبو المرءُ وهوَ كريمُ

وَقَالَ خَلِيلي: ما لَهَا إذ لقيتَها

غَدَاةَ الشَّبا فيها عليكَ وُجُومُ

فقُلْتُ لهُ: إنَّ المودَّة بَيْننا

على غَيْرِ فُحْشٍ والصَّفاءُ قديمُ

وإنّي وإنْ أعرَضْتُ عنها تجلّداً

على العهدِ فيما بيننا لمُقيمُ

وإنَّ زماناً فرَّقَ الدَّهرُ بيننا

وبينكُمُ في صَرْفِهِ لمَشُومُ

أفي الدِّينِ هذا إنَّ قلبكِ سالمٌ

صَحِيحٌ وقلبي مِنْ هَوَاكِ سقيمُ

وإنَّ بجوفي منكِ داءً مخامراً

وجوفُكِ ممّا بي عليك سليمُ

لعَمْرُكِ ما أنْصَفْتِنِي في مودَّتي

ولكنَّني يا عزُّ عنكِ حليمُ

عليَّ دماءُ البُدنِ أن كانَ حبُّها

على النَّأي أو طولَ الزَّمانِ يريمُ

وأُقسمُ ما استبدلتُ بعدكِ خلّةً

ولا لكِ عندي في الفؤادِ قسيمُ

يَقُولُ العِدا يا عَزَّ قَدْ حَالَ دُونكُمْ

يَقُولُ العِدا يا عَزَّ قَدْ حَالَ دُونكُمْ

شُجَاعٌ على ظَهْرِ الطَّريقِ مُصَمِّمُ

فقلتُ لها واللهِ لو كانَ دونكمْ

جَهَنّمُ ما راعَتْ فؤادي جهَنّمُ

وَكَيْفَ يَرُوعُ القلبَ يا عَزَّ رائعٌ

ووجهُكِ في الظّلماءِ للسَّفْرِ معلَمُ

وما ظَلَمَتْكِ النَّفْسُ يا عَزَّ في الهوى

فلا تنقمي حبّي فما فيه مَنقمُ

أمِنَ آلِ قَيلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ

أمِنَ آلِ قَيلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ

وبحومِلٍ طللٌ يلوحُ قديمُ

لعبَ الرِّياحُ برسمِهِ فأجدَّهُ

جُونٌ عَوَاكِفُ في الرَّمادِ جُثُّومُ

سُفعُ الخدودِ كأنّهنَّ وقد مضتْ

حِجَجٌ، عَوائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقيمُ

أجوازُ داويةٍ خلالَ دماثِها

جددٌ صحاصحُ بينهنَّ هرومُ

كَذِبَ العَوَاذِلُ بلْ أرَدْنَ خيانتي

وبدتْ روائعُ لِمَّتي وقتومُ

ولقدْ شهدتُ الخيلَ يحملُ شكَّتي

متلمِّظٌ حذمَ العنانِ بهيمُ

عَتَدُ القِيَادِ كأنَّهُ مُتَحجّرٌ

حَرِبٌ يُشَاهِدُ رَهْطَهُ مَظْلومُ

باقي الدِّماءِ إذا ملكتَ مناقلٌ

وإذا جمعتَ بهِ أجَشُّ هزيمُ

عومُ المعيدِ إلى الرَّجا قذفتْ بهِ

في اللّجّ داويةُ المكانِ جَمومُ

وأنتِ التي حبَّبتِ شغبى إلى بدا

وأنتِ التي حبَّبتِ شغبى إلى بدا

إليّ وأوطاني بلادٌ سواهُما

وحلَّتْ بهذا حلّةً ثمَّ أصبحتْ

بأخرى فطابَ الواديانِ كلاهما

إذا ذرفتْ عيناىَ أعتلُّ بالقذى

وعزَّةُ لوْ يدري الطّبيبُ قذاهُما

فلو تُذريانِ الدَّمع مُندُ استهلّتا

على إثرِ جازي نعمةٍ لجزاهُما

وَيَوْم الوَغَى يَومُ الطِّعانِ إذا اكتسى

وَيَوْم الوَغَى يَومُ الطِّعانِ إذا اكتسى

مُحجَّلُ خيلِ المُلتقى وبهيمُها

من الماءِ لوناً واحداً فتشابهتْ

وغيَّرَ ألوانَ الجيادِ حميمُها

وَصَارَتْ إلى شَهْبَاءَ ثَابِتَةِ الرَّحَى

مقنّعةٍ أُخرى تَزُولُ نجومُها

وطارتْ خلالَ الضَّرْبِ أيدٍ وأرْجُلٌ

وحانتْ رقابٌ لم تُعقَّدْ تميمُها

وإنّي بخيرٍ ما بقيتَ وما وَلِي

قناةَ الهُدى مِنْكُمْ إمامٌ يُقِيمُها

عفتْ غيقةٌ من أهلِها فحريمُها

عفتْ غيقةٌ من أهلِها فحريمُها

فبُرقةُ حِسمى قاعُها فصريمُها

وَهَاجَتْكَ أطْلاَلٌ لِعَزَّةَ باللّوى

يَلُوحُ بأطْرَافِ البرَاقِ رُسُومها

إلى المِنْبَرِ الدَّاني من الرَّمْلِ ذِي الغَضَا

تراها وقد أقوتْ حديثاً قديمُها

وَقَالَ خَلِيلي يَوْمَ رُحْنَا وَقُدِّحَتْ

من الصَّدرِ أشراجٌ وفُضَّتْ ختومُها

أصابتكَ نبلُ الحاجبيّةِ إنَّها

إذا ما رَمَتْ لا يَسْتَبِلُّ كليمها

كَأَنَّكَ مَرْدُوعٌ من الشَّمْسِ مُطْرَدٌ

يُفارِقُهُ من عُقْدَةِ البُقْعِ هيمها

أخُو حَيَّةٍ عَطْشَى بأرْضٍ ظَمِيئَةٍ

تجلَّلَ غشياً بعدَ غشيٍ سليمُها

إذا شحطتْ يوماً بعزَّةَ دارُها

عن الحيِّ صفقاً فاستمرَّ جذيمُها

فإنْ تمس قد شطَّتْ بعزَّةَ دارُها

ولم يستقمْ والعهدُ منها زعيمُها

فَقَدْ غَادَرَتْ في القَلْبِ منّي زَمَانَةً

وللعينِ عَبْراتٍ سَريعاً سُجُومُهَا

فذُوقي بما جشَّمتِ عيناً مشُومةً

قذاها وقد يأتي على العينِ شومُها

فلا تَجْزَعي لمَّا نأتْ وَتَزَحْزَحَتْ

بعزَّةَ دوراتُ النَّوى ورُجومُها

وَلِي مِنْكِ أيَّامٌ إذا شَحَطَ النَّوى

طوالٌ وليلاتٌ تزولُ نُجُومُهَا

قَضَى كُلُّ ذي دينٍ فوفّى غريمَهُ

وَعزَّةُ مَمْطُولٌ مُعنًّى غَريمُهَا

إذا سُمتُ نفسي هجرَها واجتنابها

رَأتْ غَمَرَاتِ الموتِ في ما أسُومُهَا

إذا بِنْتِ بَانَ العُرْفُ إلا أقلَّهُ

من النّاسِ واستعلى الحياةَ ذميمُها

وتُخلِقُ أثوابُ الصِّبا وتنكَّرتْ

نواحٍ من المعروفِ كانتْ تُقيمُها

فهلْ تجزيَنّي عزَّةُ القرضَ بالهوى

ثواباً لنفسٍ قد أصيبَ صميمُها

بأنّيَ لم تبلُغْ لها ذا قرابةٍ

أذاتي، ولم أُقررْ لواشٍ يَذيمها

مَتَى مَا تَنَالاْ بي الأولى يَقْصِبُونها

إليَّ ولا يشتمْ لديَّ حميمُها

وقدْ علمتْ بالغيبِ أنْ لنْ أودَّها

إذا هيَ لم يَكْرُمْ عَليَّ كريمها

فإنْ وصلتنا أمُّ عمروٍ فإنَّنا

سنقبلُ منها الوُدَّ أوْ لا نلومُها

فلا تزجرِ الغَاوينَ عَن تَبَعِ الصِّبا

وأنْتَ غَويُّ النَّفسِ قِدْماً سقيمها

بعزَّةَ متبولٌ إذا هي فارقتْ

مُعَنًّى بأسبابِ الهوى ما يريمها

ولما رأيتُ النَّفسَ نفساً مُصابةً

تداعى عليها بثُّها وهمومُها

عزمتُ عليها أمرها فصرمتهُ

وخيرُ بديعاتِ الأمورِ عزيمُها

وما جابةُ المِدْرَى خَذُولٌ خلا لها

أرَاكٌ بذي الريانِ دانٍ صريمها

بِأحْسَنَ منها سُنّةً وَمُقَلَّداً

إذا ما بدتْ لبّاتُها ونظيمُها

وَتَفْرُقُ بالمِدرَى أثِيثاً نباتُهُ

كجنَّةِ غربيبٍ تدلّتْ كرومُها

إذا ضحكتْ لم تنتهزْ وتبسَّمتْ

ثَنَايَا لها كالمُزْنِ غُرٌّ ظُلُومها

كأنَّ على أنيابها بعد رقدةٍ

إذا انتبهتْ وهناً لمنْ يستنيمُها

مُجاجةُ نحلٍ في أباريقِ صفقةٍ

بصَهْبَاءَ يجري في العِظام هَميمها

ركودُ المُحيّا وردةُ اللّون شابها

بماء الغوادي غَيْرَ رَنْقٍ مُديمها

فإنْ تصدُفي يا عزَّ عني وتصرمي

ولا تقبلي مني خِلالاً أسومها

فقد أقْطَعُ المَوْمَاةَ يَسْتَنُّ آلُها

بها جيفُ الحسرى يلُوحُ هشيمُها

على ظَهْرِ حُرْجُوجٍ يُقَطِّعُ بالفتَى

نعافَ الفيافي سبتُها ورسيمُها

وقد أزْجُرُ العَوْجَاءَ أنْقَبَ خُفُّها

مناسِمُها لا يَسْتَبِلُّ رَثِيمها

وَقَدْ غَيّبتْ سُمْراً كأنَّ حُروفَها

مَواثمُ وضّاحٍ يطيرُ جريمها

وليلةِ إيجافٍ بأرضٍ مخوفةٍ

تَقَنّني بجونَاتِ الظّلامِ نجومها

فبتُّ أساري ليلَها وضريبَها

على ظَهْرِ حُرجُوجٍ نَبيلٍ حزيمها

تُواهِقُ أطْلاحاً كأنَّ عُيُونَها

وقيعٌ تعادتْ عنْ نطافٍ هزومُها

أضرَّ بها الإدلاجُ حتّى كأنّها

من الأين خرصانٌ نحاها مقيمُها

تُنازعُ أشرافَ الإكامِ مَطِيّتي

من اللّيلِ سيجاناً شديداً فحومُها

بمُشْرِفةِ الأجْدَاثِ خَاشِعَةِ الصُّوى

تداعى إذا أمستْ صداها وبومُها

إذا استَقْبَلَتْها الريحُ حَالَ رُغَامُها

وَحَالَفَ جَوْلاَنَ السّرابِ أُرومها

يُمَشّي بحِزّانِ الإكامِ وبالرُّبى

كمستكبرٍ ذي موزجَين ظليمُها

رأيتُ بها العوجَ اللّهاميمَ تغتلي

وقد صُقِلَتْ صَقْلاً وَثُلّتْ جسومها

تُرَاكِلُ بالأكْوَارِ من كُلِّ صَيْهَبٍ

من الحرِّ أثباجاً قليلاً لحُومُها

ولو تسألينَ الرَّكْبَ في كلِّ سَرْبَخٍ

إذا العيسُ لم يَنْبِسْ بليلٍ بَغومها

من الحُجرةِ القصوى وراءَ رحالِها

إذا الأَسْدُ بالأكْوارِ طَافَ رَزُومُها

وجرَّبتُ إخوانَ الصَّفاءِ فمنهمُ

حَمِيدُ الوصَالِ عندنا وذميمها

وأعلمُ أنّي لا أُسَرْبَلُ جُنّةً

منَ الموتِ معقوداً عليّ تميمها

ومنْ يبتدعْ ما ليسَ من سوسِ نفسه

يدعهُ ويغلبْهُ على النَّفسِ خيمُها

أفي رَسْمِ أطْلالٍ بشَطْبٍ فمِرْجَمِ

أفي رَسْمِ أطْلالٍ بشَطْبٍ فمِرْجَمِ

دوارسَ لمّا استُنطقتْ لم تكلَّمِ

تُكفكِفُ أعداداً من العينِ رُكّبتْ

سوانيُّها ثمَّ اندفعنَ بأسلُم

فأصبحَ من تربيْ خُصيلةَ قلبُهُ

لهُ ردَّةٌ مِن حَاجَةٍ لم تَصرَّم

كذي الظَّلع إنْ يَقصِدْ عَلَيْه فإنّهُ

يَهُمُّ وإنْ يخرَقْ بهِ يَتَيمّم

وما ذكره تربيْ خصيلةَ بعدما

ظعنَّ بأجوازِ المراضِ فتغلّم

فأصبحن باللّعباءِ يرمينَ بالحصى

مدى كلِّ وحشيٍّ لهنَّ ومُستمي

موازيةً هضبَ المُضيَّح واتَّقتْ

جبالَ الحمى والأخشبين بأخرُم

إليكَ تبارى بعدما قلتُ قد بدتْ

جبالُ الشَّبا أوْ نكَّبتَ هضبَ تريَم

بِنَا العِيسُ تَجْتَابُ الفَلاةَ كأنَّها

قطا الكُدرِ أمسى قارباً جفرَ ضمضم

تشكّى بأعلى ذي جراولَ موهناً

مَناسِمُ مِنْهَا تَخْضِبُ المَروَ بالدَّم

تنوطُ العتاقَ الحميريَّةَ صُحبتي

بأعيسَ نهّاضٍ على الأينِ مرجم

كأنَّ المَطايَا تَتّقي مِنْ زُبَانَةٍ

مَنَاكِبَ رُكْنٍ من نَضَادِ مُلَمْلَم

تُعَالِي وَقَدْ نُكِبّنَ أعْلاَمَ عَابِدٍ

بأركانِها اليُسرى هضابَ المُقطَّم

ترى طبقَ الأعناقِ منها كأنَّهُ

إليكَ كعوبُ السَّمهريِّ المقوَّمِ

إذا انتقدتْ فضلَ الأزمّةِ زعزعتْ

أنابيبُها العليا خوابيَ حنتمِ

تَزُورُ امرءاً أمَّا الآلهَ فيتّقي

وأمّا بفعلِ الصَّالحِينَ فيأتمي

نُجِدُّ لكَ القَولَ الحليَّ ونَمْتطي

إليكَ بناتِ الصَّعيريِّ وشدقمِ

إليكَ فَلَيْسَ النِّبلُ أصْبَحَ غَادِياً

بِذِي حُبُكٍ يَعْلُو القُرَى مُتَسَنَّمِ

بطَامٍ يكبُّ الفُلكَ حَوْلَ جَنابِهِ

لأذقانِهِ مُعلَوْلِبَ المدِّ يرتمي

بِأفْضَلَ سَيباً مِنْكَ، بَلْ لَيْسَ كُلُّهُ

كَبَعْضِ أيادي سَيْبِكَ المتقسَّمِ

رأيتُ ابنَ ليلى يعتري صلبَ مالهِ

مَسَائِلُ شَتّى مِنْ غنيٍّ وَمُصْرِمِ

مَسَائِلُ إنْ توجَدْ لديهِ تَجُدْ بها

يداهُ وإنْ يُظلمْ بها يتظلَّمَ

يداكَ ربيعٌ يُنتوى فضلُ سيبهِ

ووجهُكَ بادي الخيرِ للمتوسِّمِ

لقدْ أبرزتْ منكَ الحوادثُ للعدى

على رَغْمِهِمْ ذرِّيَّ عَضْبٍ مُصَمِّمِ

وَذِي قَوْنَسٍ يوماً شَكَكْتَ لُبَانَهُ

بذي حُمَةٍ في عَامِلِ الرّمْحِ لَهْذَمِ

وذي مَغْرَمٍ فَرَّجْتَ عَنْ لَوْنِ وجههِ

صُبابَةَ ذي دَجْنٍ مِنَ الهمِّ مظلمِ

وعانٍ فككتَ الغُلَّ عنهُ وكبلهُ

وقدْ أندبا منهُ بساقٍ ومعصمِ

ولوْ وُزنتْ رضوى الجبالِ بحلمِهِ

لمال برضوى حِلْمُهُ وَيَرَمْرَمِ

مِنَ النّفَرِ البيضِ الّذينَ وُجُوهُهُمْ

دنانيرُ شيفتْ من هرقلٍ بروسمِ

فأنتَ إذا عُدَّ المكارمُ بينهُ

وبين ابنِ حربٍ ذي النُّهى المتفخمِ

عَرِّجْ بأطْرَافِ الدّيار وَسَلَّمِ

عَرِّجْ بأطْرَافِ الدّيار وَسَلَّمِ

وإنْ هِيَ لم تَسْمَعْ ولم تَتَكَلَّمِ

فقد قدُمتْ آياتُها وتنكَّرتْ

لِمَا مَرَّ مِنْ رِيحٍ وأوْطَفَ مُرْهِمِ

تأمَّلتُ منْ آياتِها بعدَ أهلِها

بأطرافِ أعْظَامٍ فأدْنَابِ أزْثُمِ

محانيَ آناءٍ كأنَّ دروسَها

دروسُ الجوابي بعد حولٍ مُجرَّمِ

يَقُولُ خَليلي سِرْ بنا أيَّ موقفٍ

وَقَفْتَ وَجَهْلٍ بالحَلِيمِ المعمَّمِ

تَلُومُ وَلَمْ تَعْلَمْ بأسرارِ خُلّةٍ

فتُعذرَ إلاّ عنْ حديثٍ مُرجَّم

فإنْ كنتُ لم أجهل فقد لمتَ ظالماً

وإن كنتُ قد أزرى بيَ الجهلُ فاحلُم

وفي الحلمِ والإسلامِ للمرءِ وازعٌ

وفي تركِ طاعاتِ الفؤادِ المتيَّم

بَصَائِرُ رُشْدٍ للفَتى مُسْتَبِينَةٌ

وأخلاقُ صدقٍ علمُها بالتَّعلُّم

وَلِيتَ فلم تَشْتِمْ عليّاً ولم تُخِفْ

بريّاً ولم تقبلْ إشارةَ مجرمِ

وأظْهَرْتَ نورَ الحقِّ فاشتَدَّ نُورُهُ

على كُلِّ لَبْسٍ بارقِ الحَقّ مُظْلِم

وَعَاقَبْتَ فيما قَدْ تَقَدّمْتَ قَبْلَهُ

وأعرضتَ عمّا كانَ قبل التّقدُّم

وصدَّقْتَ بالفِعْلِ المقالَ مَعَ الذي

أتيتَ فأمسى راضياً كلُّ مسلِم

تَكَلَّمْتَ بالحَقّ المُبينِ وإنّما

تَبَيّنُ آياتُ الهُدى بالتّكلُّم

ألا إنما يكفي الفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ

مِن الأوَدِ البَادِي ثِقافُ المقوِّم

وَقَدْ لَبِسَتْ لُبْسَ الهَلُوكِ ثيابَهَا

تراءى لك الدُّنيا بكفٍّ ومعصم

وَتُومِضُ أحياناً بعينٍ مريضَةٍ

وتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الجُمَانِ المُنظَّمِ

فأعرضتَ عنها مشمئزّاً كأنّما

سقتك مدوفاً من سمامٍ وعلقمِ

وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أجْبَالِهَا في ممَنَّعٍ

وَمِنْ بَحْرِهَا في مُزْبِدِ المَوْجِ مُفعَمِ

وما زلتَ توّاقاً إلى كلّ غايةٍ

بَلَغْتَ بها أعْلَى البنَاءِ المُقَدَّمِ

فلما أتاكَ المُلْكُ عفواً ولم يَكُنْ

لطالبِ دُنيا بعْدهُ مِن تَكَلُّمِ

تركتَ الذي يفنى وإنْ كانَ مونقاً

وآثرْتَ ما يَبْقَى برأيٍ مُصَمِّمِ

وأضررتَ بالفاني وشمَّرت للذي

أمَامَكَ في يومٍ مِنَ الشّرِّ مُظلِمِ

وَمَا لكَ إذا كُنْتَ الخليفة مانع

سوى الله من مال رغيب ولا دم سم

سما لكَ همٌّ في الفؤادِ مؤرِّقٌ

بلغتَ بهِ أعْلَى المَعَالِي بسُلّمِ

فما بينَ شرق الأرض والغربِ كلّها

منادٍ ينادي من فصيحٍ وأعجمِ

يقولُ : أميرَ المؤمنين ظلمتني

بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ درهمِ

ولا بسطِ كفِّ امرئٍ غيرِ مجرمٍ

ولا السَّفكِ منهُ ظالماً ملءَ محجَمِ

ولو يستطيعُ المسلمونَ تقسَّموا

لكَ الشَّطْرَ من أعمارهِمْ غيرَ

فعشتَ به ما حجَّ للهِ راكبٌ

مُغذٌّ مطيفٌ بالمقامِ وزمزمِ

فأربحْ بها من صفقةٍ لمبايعٍ

.. وأعظمْ بها أعظمْ بها ثمَّ أعظِمِ

لكَ الوَيْلُ من عَيْنَيْ خُبيبٍ وَثَابتٍ

لكَ الوَيْلُ من عَيْنَيْ خُبيبٍ وَثَابتٍ

وَحَمْزَةَ أشْباهِ الحِداءِ النّوائمِ

تُخَبّرُ مَنْ لاقيتَ أنّكَ عائِدٌ

بلِ العائدُ المظلومُ في مسجنٍ عارمِ

ومن يرَ هذا الشَّيخَ بالخيفِ منْ منىً

من النّاسِ يعلمْ أنَّهُ غيرُ ظالمِ

وَصِيُّ النّبيِّ المُصْطفى وابنُ عمّهِ

وَفَكّاكُ أغْلالٍ وَقَاضِي مَغَارمِ

أبى فَهْو لا يَشْري هُدًى بضَلالةٍ

ولا يتّقي في اللهِ لومةَ لائمِ

ونحنُ بحمدِ الله نتلو كتابهُ

حُلُولاً بهذا الخَيْفِ خَيْفِ المحارمِ

بحيثُ الحمامُ آمنُ الرَّوعِ ساكنٌ

وَحَيْثُ العَدُوُّ كالصَّدِيقِ المُسَالِمِ

فما ورَقُ الدُّنيا بِبَاقٍ لأهْلِهِ

ولا شِدَّةُ البَلْوَى بضَرْبَةِ لازِمِ

فلا تجزَعَنْ مِنْ شِدَّةٍ إنَّ بَعْدَها

فوارجَ تلوي بالخُطوبِ العوارمِ

وَهَاجِرَةٍ يا عَزَّ يَلْتَفُّ حَرُّها

وَهَاجِرَةٍ يا عَزَّ يَلْتَفُّ حَرُّها

بركبانِها من حيثُ ليُّ العمائمِ

نصبتُ لها وجهي وعزَّةُ تتَّقي

بجِلْبَابِهَا والسِّتر لَفْحَ السّمائِمِ

رأيتُ أبا الحجناءِ في النّاس جائزاً

رأيتُ أبا الحجناء في النّاس جائزاً

ولونُ أبي الحجناء لونُ البهائمِ

تَرَاهُ على مَا لاَحَهُ مِنْ سَوَادِهِ

وإنْ كَانَ مظْلوماً لهُ وَجهُ ظالمِ

كأنَّ فاها لمن توسَّنها

كأنَّ فاها لمن توسَّنها

أوْ هكذا موهناً ولم تنمِ

بيضاءُ من عسلِ ذروةٍ ضربٍ

شَجَّتْ بِمَاءِ الفَلاةِ مِنْ عَرِمِ

دَعْ عَنْكَ سَلْمَى إذْ فَاتَ مَطْلَبُها

واذكرْ خليليكَ منْ بني الحكمِ

ما أعطياني ولا سألتُهُما

إلاّ وإنّي لحاجزي كَرَمِي

إنّي متى لا يكنْ نوالُهُما

عندي بما قد فعلتُ أحتشمِ

مبدي الرِّضا عنهما ومنصرفٌ

عَنْ بَعْضِ ما لو فَعَلْتُ لم أُلمِ

لا أنزرُ النّائلَ الخليلَ إذا

ما اعْتَلَّ نَزْرُ الظُّوور لم تَرِمِ

عَرَفْتُ الدَّارَ قَدْ أقْوَتْ بريمِ

عَرَفْتُ الدَّارَ قَدْ أقْوَتْ بريمِ

إلى لأيٍ فَمَدْفَعِ ذِي يَدُومِ

أميرَ المُؤمِنِينَ إلَيْكَ نَهْوِي

على البُختِ الصَّلادمِ والعُجومِ

كأنَّ سوالفَ النَّجداتِ منها

تقطَّرُ بالأرندجِ والعصيمِ

إذا اتّخذتْ وجوهُ القومِ نصباً

أجيجَ الواهجاتِ من السَّمومِ

فَكَمْ غَادرْنَ دُونَكَ مِنْ جَهيضٍ

وَمِنْ نَعْلٍ مُطرَّحةٍ جَذيمِ

يَزُرْنَ عَلى تَنَائِيهِ يَزِيداً

بأكنافِ الموقَّرِ والرَّقيمِ

تُهَنِّئُهُ الوُفُودُ إذا أتَوْهُ

بَنَصْرِ الله والمُلْكِ العَظِيمِ

يَا لَقَوْمِي لحَبْلِكَ المَصْرُومِ

يَا لَقَوْمِي لحَبْلِكَ المَصْرُومِ

يومَ شوطى وأنتَ غيرُ مُليمِ

وَرُسُومُ الدّيارِ تُعرَفُ مِنها

بالمَلا بَيْنَ تَغْلَمَيْنِ فَريمِ

غَشِيَ الرَّكْبُ رَبْعَها فَعَجِبْنَا

مِن بِلاَه وَمَا المَدَى بمقيمِ

كَحَوَاشِي الرداءِ قَدْ مُحَّ منْهُ

بعد حسنٍ عصائبُ التَّسهيمِ

بدّلَ السَّفحَ في اليلابن منها

كلُّ أدْماءَ مُرْشِحٍ وظَليمِ

قَدْ أُرُوعُ الخليلَ بالصّرْمِ منّي

لَمْ يَخَفْهُ وقِلّةِ التّكْليمِ

بَرِئْتُ إلى الإلهِ مِن ابن أرْوَى

بَرِئْتُ إلى الإلهِ مِن ابن أرْوَى

ومنْ قولِ الخوارجِ أجمعينا

ومن عمرٍ برئتُ ومنْ عتيقٍ

غداةَ دُعيْ أميرَ المؤمنينا

خيرُ إخوانِكَ المشاركُ في الأمـر

خيرُ إخوانِكَ المشاركُ في الأمـ

ـرِ وأيْنَ الشَّريكُ في الأمْرِ أيْنَا

الّذي إنْ حضرتَ سرَّك في الحيـ

ـيّ وإنْ غِبْتَ كَانَ أُذناً وَعَيْنَا

ذاكَ مِثْلُ الحُسامِ أخلَصَهُ القَيْـ

نُ جلاهُ الجلاءُ فازدادَ زينا

أنتَ في معشرٍ إذا غبتَ عنهمْ

بدّلوا كُلَّ ما يزينُكَ شَيَنا

وإذا ما رأوكَ قالوا جميعاً:

أنْتَ مِنْ أكْرَمِ الرّجالِ عَلَينا

أهَاجَكَ مَغْنَى دِمْنَةٍ وَمَسَاكِنُ

أهَاجَكَ مَغْنَى دِمْنَةٍ وَمَسَاكِنُ

خلتْ وعفاها المعصراتُ السَّوافنُ

دِيَارُ ابنَةِ الضَّمْرِي إذ حَبْلُ وَصْلِها

متينٌ وإذ معروفُها لكَ عاهنُ

تقولُ ابنةُ الضَّمريِّ ما لكَ شاحباً

وقد تَنْبري لِلْعَيْنِ فيك المَحَاسِنُ

جفوتَ فما تهوى حديثَكَ أيِّمٌ

ولا تجتديكَ الآنساتُ الحواضنُ

فقلتُ لها بلْ أنتِ حنَّةُ حوقلٍ

جَرَى بالفِرى بَيْنِي وَبَيْنَكِ طَابِنُ

فَصدَّقتِه في كُلِّ حقٍّ وباطلِ

أتاكِ بهِ نمُّ الأحاديثِ خائنُ

رأتْنِي كَأَنْضَاءِ اللِّجامِ وبعلُها

من الملء أبزى عاجزٌ متباطنُ

رَأتْ رَجُلاً أوْدَى السِّفَارُ بوجْهِهِ

فلم يبقَ إلاّ منظرٌ وجناجنُ

فإن أكُ معروقَ العظامِ فإنّني

إذا وزنَ الأقوامُ بالقوم وازنُ

مَتَى تَحْسِرُوا عَنّي العَمَامَةَ تَبْصُرُوا

جميلَ المُحيّا أغفلتهُ الدَّواهنُ

يروقُ العيونَ النّاظراتِ كأنّهُ

هِرَقْلِيُّ وزْنٍ أحمرُ النِّبْرِ وازنُ

نِسَاءُ الأخِلاَّءِ المُصَافِينَ مَحْرَمٌ

عليَّ وَجَارَاتُ البُيُوتِ كنائنُ

وإنِّي لِمَا استَوْدَعْتِنِي مِن أمانةٍ

إذا ضاعتِ الأسرارُ للسِّرِّ دافنُ

وَمَا زِلْتِ من ليلي لدُنْ طرَّ شاربي

إلى اليوم أخفي حبَّها وأُداجنُ

وأحملُ في ليلى لقومٍ ضغينةً

وتُحمَل في ليلى عليَّ الضغائنُ

أبائنةٌ سُعدى ؟ نعمْ ستبينُ

أبائنةٌ سُعدى ؟ نعمْ ستبينُ

كما انبَتَّ مِنْ حَبْلِ القَرِين قرينُ

أإنْ زُمَّ أجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرةٌ

وصاحَ غرابُ البينِ أنتَ حزينُ؟

كأنَّكَ لم تَسْمَعْ ولم تَرَ قَبْلَها

تَفَرُّقَ ألافٍ لَهُنَّ حَنينُ

حَنِينٌ إلى ألأَفهنَّ وقدْ بَدا

لَهُنَّ مِن الشَّكِّ الغَداةَ يَقِينُ

وهاجَ الهوى أظْعانُ عزَّةَ غُدوَةً

وقد جعلتْ أقرانُهُنَّ تبينُ

فَلَمّا استَقَلَّتْ عن مَنَاخٍ جِمَالُها

وأسْفَرْنَ بالأحْمَالِ قُلْتُ سَفينُ

تأطَّرْنَ في المِينَاءِ ثُمَّ تَرَكْنَهُ

وقد لاحَ مِنْ أثْقَالِهنَّ شُحونُ

كأنّي وقد نكَّبنَ بُرقةَ واسطٍ

وخلَّفنَ أحواضَ النُّجيلِ طعينُ

فأتبعتُهُمْ عينيَّ حتّى تلاحمتْ

عليها قنانٌ من خفينَ جونُ

فَقَدْ حَالَ مِنْ حَزْمِ الحَمَاتين دونهم

وأعرضَ منْ وادي البُليدِ شُجونُ

وَفَاتَتْكَ عِيرُ الحَيِّ لمّا تَقَبَّلَتْ

ظهورٌ بهمْ من ينبُعٍ وبطونُ

وقد حال من رَضْوى وَضَيْبر دُونَهُمْ

شمارخُ للأروى بهنَّ حصونُ

على الكُمتِ أو أشباهها غيرَ أنَّها

صُهابيّةٌ حُمْرُ الذُّفوفِ وَجونُ

وأعرضَ ركبٌ من عباثرَ دونهمْ

وَمِنْ حَدِّ رَضْوَى المكْفهرِّ جبينُ

فأخلفنَ ميعادي وخُنَّ أمانتي

وَلَيْسَ مَنْ خَانَ الأمانَةَ َ دينُ

وأورثنه نأياً فأضحى كأنَّهُ

مخالطُهُ يومَ السُّرير جنونُ

كذبنَ صفاءَ الوُدِّ يومَ شنوكةٍ

وأدرَكَني مِنْ عَهْدِهِنَّ وُهُونُ

وإنَّ خَليلاً يُحْدِثُ الصُّرم كلَّما

نأيتَ وشطَّتْ دارُهُ لظنونُ

وطافَ خيالُ الحاجبيّة موهناً

ومرٌّ وقرنٌ دونها ورنينُ

وعاذلةٍ ترجو لياني نجهتُها

بأنْ ليسَ عندي للعواذلِ لينُ

تَلُومُ امرءاً في عنفوانِ شبابِهِ

ولِلتَّرْكِ أشْياعَ الصَّبَابَةِ حينُ

وما شعرتْ أنَّ الصِّبا إذْ تلومني

على عهدِ عادٍ للشَّبابِ خدينُ

وأنّي ولوْ داما لأعلمُ أنَّني

لحفرةِ موتٍ مَرَّةً لدفينُ

وأنّيَ لم أعلمْ ولم أجدِ الصِّبا

يُلائِمُهُ إلا الشَّبَابَ قرينُ

وأنَّ بياضَ الرَّأس يُعقِبُ بالنُّهى

ولكنَّ أطلالَ الشَّبابِ تَزينُ

لَعَمْري لقد شَقَّتْ عليَّ مريرةٌ

ودارٌ أحلَّتكِ البُويبَ شطُونُ

سيأتي أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ

سيأتي أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ

جماهيرُ حسمى : قورُها وحزونُها

تُجاوِبُ أصْدَائي بكُلِّ قَصيدةٍ

من الشعر مُهْدَاةٍ لمن لا يُهينها

أُفخِّمُ فيها آلَ مروانَ إنَّهم

إذا عَمَّ خوفٌ عبدَ شمسٍ حُصونها

أُسودُ بوادي ذي حماسٍ خوادرٌ

حَوانٍ على الأشْبَال محمًى عرينها

إذا طلبوا أعلى المكارمِ أدركوا

بِمَا أدْرَكَتْ أحْسَابُ قَوْمٍ ودينها

لقد جَهَدَ الأعداءُ فوْتَكَ جُهْدَهُمْ

وَضَافَتْكَ أبكارُ الخُطُوبِ وَعُونها

فَمَا وَجَدُوا فيكَ ابنَ مَرْوَانَ سَقْطَةً

ولا جهلةً في مأزقٍ تستكينُها

ولكِنْ بَلَوْا في الجِدِّ منكِ ضريبَةً

بعيداً ثراها مسمهرّاً وجيئُها

إذا جاوزوا معروفَها أسلمتهُمُ

إلى غَمْرَةٍ لا يَنْظُرُ العوْمَ نوئُها

إذا ما أرادَ الغزوَ لم تثنِ عزمَهُ

حَصَانٌ عليها نظمُ دُرٍّ يزينُها

نهَتْهُ فَلَمّا لم تَرَ النّهْيَ عَاقَهُ

بكَتْ فَبَكَى مِمَّا شَجَاهَا قطينُها

ولم يثنِهِ عندَ الصَّبابةِ نهيُها

غَدَاةَ استهلَّتْ بالدُّموعِ شؤونُها

ولكنْ مضى ذو مرَّةٍ متثبِّتٌ

لسُنّةِ حقٍّ واضحٍ يستَبينُها

أشمُّ عميمٌ في العمامةِ أظهرتْ

حزامتُهُ أجْلادَ جسمٍ يُعينُها

وصدقَ مواعيدٍ إذا قيل إنّما

يُصَدِّقُ موعودَ المغيبِ يقينُها

فَتًى أخْلصَتْهُ الحَرْبُ حتَّى تقلَّبتْ

كما أخلصَتْ عَضْباً بضربٍ قيونها

وَهُمْ يَضْرِبُون الصَّفَّ حتَّى يُثبِّتوا

وهم يُرْجِعُون الخَيْلَ جُمّاً قرونها

لقد كنتَ للمظلومِ عزّاً وناصراً

لقد كنتَ للمظلومِ عزّاً وناصراً

إذا ما تَعَيَّا في الأمورِ حُصُونُها

كما كانَ حصناً لا يُرامُ ممنَّعاً

بأشبالِ أُسدٍ لا يُرامُ عرينُها

وَلِيتَ فَمَا شَانَتْكَ فينا ولا يةٌ

ولا أنْتَ فيها كنتَ ممّن يَشينها

فعفَّتْ عن الأموالِ نفسُكَ رغبةً

وأكرمْ بنفسٍ عندَ ذاكَ تصونُها

وعطَّلتَها منْ بعد ذلك كالّذي

نَهى نَفْسَهُ أنْ خالَفَتْهُ يُهينها

كَدَحْتَ لها كَدْحَ امرىءٍ مُتحرّجٍ

قدَ أيقنَ أنَّ اللهَ سوفَ يدينُها

فَمَا عَابَ مِنْ شَيءٍ عليهِ فإنَّهُ

قد اسْتَيْقَنَتْ فيه نفوسٌ يقينها

فعِشتَ حميداً في البريَّةِ مقسطاً

تؤدّي إليها حقَّها ما تخونُها

ومُتَّ فقيداً فهيَ تبكي بعولةٍ

عليكَ وَحُزْنٍ، ما تجفُّ عيونها

إذا ما بدا شجواً حمامٌ مغرِّداً

على أثْلةٍ خَضْرَاءَ دانٍ غصونها

بَكَتْ عُمَرَ الخَيْرَاتِ عَيني بعَبْرَةٍ

على إثرِ أخرى تستهلُّ شؤونُها

تَذَكَّرْتُ أيّاماً خَلَتْ ولياليا

بها الأمنُ فيها العدلُ كانتْ تكونُها

فإنْ تصبحِ الدُّنيا تغَيَّرَ صفوُها

فَحالتْ وأمْسَتْ وهي غَثٌّ سمينها

فقد غَنِيتْ إذْ كُنْتَ فيها رخيّةً

ولكنَّها قِدْماً كَثيرٌ فنونها

فلو كانَ ذاقَ الموتَ غيرُكَ لم تجدْ

سَخِيّاً بها ـ ما عِشْتَ فيها ـ يمونها

فَمَنْ لِلْيتامى والمَسَاكِينِ بَعْدَهُ

وأرملةٍ باتتْ شديداً أنينُها

وليسَ بها سقمٌ سوى الجوع لم تجدْ

على جُوعِها من بَعْدِها مَن يُعينها

وكنتَ لها غيثاً مَريعاً ومَرْتعاً

كما في غمارِ البحرِ أمرعَ نونُها

فإن كانَ للدُّنيا زوالٌ وأهلِها

ـ لعدل إذا ولّى ـ فقد حان حينها

أقامتْ لكم دُنْيا وزال رَخَاؤها

فلا خيرَ في دنيا إذا زالَ لينُها

بَكَتْهُ الضَّواحي واقشعرَّتْ لفَقْدِهِ

بحزنٍ عليهِ سهلُها وحزونُها

فكلُّ بلادٍ نالها عدلُ حكمِهِ

شَدِيدٌ إليها شَوْقُها وحنينُها

فلمّا بكتهُ الصَّالحاتُ بعدلهِ

وما فاتها منهُ بكتهُ بطوئُها

ولمّا اقشعرَّتْ حينَ ولّى وأيقنت

لقد زالَ منها أنسُها وأميئُها

وقالتْ لهُ أهلاً وسهلاً وأشرقتْ

بنورٍ له مستشرفاتٍ بُطُونُها

فإنْ أشْرَفَتْ منها بَطونٌ وأبْشرَتْ

لهُ إذْ ثوى فيها مقيماً رهيئُها

وقد زانها زيناً لهُ وكرامةً

كما كانَ في ظهر البلادِ يزيئُها

لقد ضُمّنَتْهُ حُفْرَةٌ طابَ نَشْرُهَا

وَطابَ جنيناً ضُمّنَتْهُ جنيئُها

سقى ربُّنا من دير سمعانَ حفرةً

بها عُمَرُ الخيْراتِ رَهْناً دَفِينها

صوابحَ منْ مزنٍ ثقالٍ غواديا

دوالحَ دهماً ماخضاتٍ دجونُها

أأطْلالُ دارٍ مِنْ سُعَادَ بيَلْبَن

أأطْلالُ دارٍ مِنْ سُعَادَ بيَلْبَن

وقفتُ بها وحشاً كأنْ لم تدمَّن

إلى تَلَعَاتِ الخُرْجِ غيّرَ رَسْمَها

هَمَائِمُ هَطَّالٍ من الدَّلْوِ مُدْجِن

عرفتُ لسُعدى بعدَ عشرينَ حجَّةً

بها درسُ نؤيٍ في المحلّةِ منحن

قَديمٌ كَوَقْفِ العاجِ ثُبِّتَ حَوْلهُ

مَغازرُ أوْتَادٍ برَضْمٍ موضَّنِ

فَلاَ تُذكِرَاهُ الحَاجِبيَّة إنَّهُ

مَتَى تُذْكِرَاهُ الحَاجِبيَّةَ يَحْزنِ

تراها إذا استقبلتها محزئلّةً

على ثفنٍ منها دوامٍ مسفَّنِ

كأنَّ قتودَ الرَّحلِ منها تبيئُها

قرونٌ تحنَّتْ في جماجمِ أبدُنِ

كأن خليفَيْ زَوْرِها وَرَحاهُمَا

بُنَى مَكَوَينِ ثُلِمّا بعدَ صيدَنِ

إلى ابنِ أبي العَاصِي بدَوَّةَ أرْقَلتْ

وبالسّفحِ من ذاتِ الرُّبَى فوْقَ مُظعِنِ

بشُعْثٍ عليها، غَيّرَ السيرُ منهُمُ

صفاءَ وُجُوه وَهْيَ لم تتشنّنِ

إذا ذرَّ قرنُ الشَّمسِ مالتْ طلاهم

عليها وألْقَوْا كلَّ سوطٍ وَمِحجَنِ

كأنَّهمُ كانوا من النَّومِ عاقروا

بليلٍ خراطيمَ السُّلافِ المسخَّنِ

إلى خَيْرِ أحْيَاءِ البَريّةِ كلِّهَا

لذي رحمٍ أوْ خلّةٍ متأسِّنِ

لهُ عَهْدُ وُدّ لم يُكدَّرْ يَزينُهُ

رَدَى قَوْلِ معروفٍ حديثٍ ومزْمنِ

وليسَ امروٌ من لم ينلْ ذاكَ كامرئٍ

بَدَا نُصْحُهُ فاسْتَوْجَبَ الرِّفد مُحسِنِ

فإنْ لَمْ تَكُنْ بالشّأم داري مُقيمةً

فإنَّ بأجنادين منّي ومسكن

مَنَازِلَ لمْ يعْفُ الثّنائي قديمَها

وأُخْرَى بميّافَارِقِينَ فمَوْزَنِ

إذا النَّبْلُ في نَحْرِ الكُمَيتِ كأنّها

شَوارِعُ دَبْرٍ في حُشافةِ مُدْهُنِ

وَأنْتَ كَرِيمٌ بينَ بيتي أمَانَةٌ

بعلياءِ مجدٍ قُدِّمَتْ لَكَ فابتنِ

مصانعَ عزَّ ليس بالتُّربِ شرِّفتْ

ولكِنْ بصُمّ السّمْهريّ المُعرَّنِ

وقدْ علمتْ قدماً أميّةُ أنَّكمْ

من الحيّ مأوى الخائفِ المتحصّنِ

وإنْ تَقْصُرِ الدَّعوى إلى الرَّهْطِ قَصْرَةً

فإنّكَ ذو فضل على الحقِّ بيِّنِ

بحقّك إنْ تَنْطُقْ تَقُلْ غيرَ مُهْجِرٍ

صواباً وإنْ يخفُفْ حصى القوم ترزُنِ

بَهَالِيلُ مَعْرُوفٌ لكم أن تفضَّلوا

وأنْ تحفظوا الأحْسَابَ في كلّ موطنِ

بصَبْرٍ وإبْقَاءٍ عَلَى جُلّ قومِكُمْ

عَلَى كُلِّ حَالٍ بالأنا والتحنّنِ

ولينٍ لهمْ حتّى كأنَّ صدورَهمْ

من الحلمِ كانتْ عزّةً لم تخشَّنِ

وأنتَ فلا تُفقَدْ ولا زَالَ مِنْكُمُ

إمامٌ يحيّا في حجابٍ مسدَّن

أشمُّ من الغادينَ في كلِّ حلَّةٍ

يَمِيسُون في صِبْغٍ من العَصْب متقَن

لهمْ أزُرٌ حمرُ الحواشي يطونَها

بأقْدامهمْ في الحَضْرَميّ المُلسَّن

طربَ الفؤادُ فهاجَ لي ددني

طربَ الفؤادُ فهاجَ لي ددني

لَمَّا حَدَوْنَ ثَوَانِيَ الظُّعن

والعيسُ أنّى هيْ توجِّهُهُ

شَأماً وَهْنَّ سَوَاكِنُ اليَمَن

ثمَّ اندفعنَ ببطنِ ذي عببٍ

ونكأنَ قرحَ فؤاديَ الضَّمن

لمن الدِّيارُ بأبرق الحنّان

لمن الدِّيارُ بأبرق الحنّان

فالبُرقُ فالهضباتُ من أدمان

أقوَتْ مَنَازلُهَا وَغَيّرَ رَسْمَها

بعدَ الأنيس تَعَاقُبُ الأزْمَان

فوقفتُ فيها صاحبيَّ وما بها

يا عزَّ منْ نعمٍ ولا إنسان

إلاّ الظِّباءَ بها كأنَّ نزيبَها

ضَرْبُ الشِّرَاعِ نواحيَ الشِّرْيَانِ

فإذا غشيتُ لها ببرقةِ واسطٍ

فَلِوَى لُبَيْنَةَ مَنْزلاً أبْكَانِي

ثُمّ احتَمَلْنَ غُديّةً وصرَمْنَهُ

والقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَ عزَّةَ عان

ولقد شأتكَ حمولُها يومَ استوت

بالفرع بينَ خفينِ ودعان

فالقَلْبُ أصُورُ عِنْدَهُنَّ كأنَّمَا

يجذبْنَهُ بنَوازعِ الأشْطان

طَافَ الخَيَالُ لآل عَزَّةَ مَوْهِناً

بَعْدَ الهدوِّ فَهَاجَ لي أحْزَاني

فألَمَّ منْ أهل البويبِ خيالُها

بمُعَرَّسٍ منْ أهْلِ ذي ذَرْوَان

رُدّتْ عَلَيْهِ الحَاجِبِيَّةُ بَعْدما

خَبَّ السَّفاءُ بقَزْقَزِ القُرْيان

ولقدْ حلفتُ لها يميناً صادقاً

بالله عِنْدَ محارمِ الرَّحْمَان

بالرّاقصاتِ على الكلالِ عشيّةً

تغشى منابتَ عرمضِ الظَّهران

وقفتُ عليهِ ناقتي فتنازعتْ

وقفتُ عليهِ ناقتي فتنازعتْ

شعوبُ الهوى لمّا عرفتُ المغانيا

فَمَا أعْرِفُ الآياتِ إلاَّ تَوَهُّماً

وَمَا أعْرِفُ الأطْلاَلَ إلا تماريا

وما خَلَفٌ مِنْكُمْ بأطلالِ دِمْنَةٍ

تنكَّرنَ واستبدلنَ منكِ السَّوافيا

وإنْ طنَّتِ الأذنان قلتُ ذكرتني

وإنْ خَلَجَتْ عيني رَجَوْتُ التَّلاقيا

أيا عزَّ صادي القلبَ حتى يودَّني

فؤادُكِ أو ردّي عليَّ فؤاديا

أيا عزَّ لو أشكو الذي قد أصابني

إلى ميِّتٍ في قبرهِ لبكى ليا

ويا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أصَابَني

إلى راهبٍ في ديرهِ لرثى ليا

وَيَا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أصَابَني

إلى جَبَلٍ صَعْبِ الذُرى لانحنى ليا

وَيَا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أصَابَني

إلى ثَعْلَبٍ في جُحْرِهِ لانْبَرى ليا

وَيَا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أصَابني

إلى موثقٍ في قيدِهِ لعدا لِيا

عفا الله عنْ أمّ الحويرث ذنبها

عفا الله عنْ أمّ الحويرث ذنبها

علامَ تعنّيني وتكمي دوائيا

فَلَوْ آذنُوني قَبْلَ أنْ يَرْقُمُوا بها

لقُلْتُ لهُمْ أُمُّ الحُوَيْرثِ دائيا